سلسلة البحوث الجامعية المحكمة ١٨

كتاب

ما لا بد منه في أمور الدين

تأليف العلامة
أبي بكر بن محمد عارف خوقير
المدرس بالحرم المكي الشريف
(ت : ١٣٤٩ هـ)

قدم له

محمد بخيت المطيعي
مفتي الديار المصرية وشيخ الحنفية بالأزهر

أحمد البسيوني الأزهري
شيخ الحنابلة بالأزهر

عبد الوارث عبد الصمد الصعيدي
شيخ المالكية بالأزهر

عبد المعطي السقا
شيخ الشافعية بالأزهر

دراسة وتحقيق
د.عبد الله بن عمر الدميجي
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة أم القرى

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

خوقير ، أبي بكر بن محمد عارف
مجموعة الرسائل العقلية للشيخ أبي بكر محمد عارف
خوقير / أبي بكر محمد عارف خوقير : عبدالله عمر
الدميجي - الرياض ، ١٤٣٣هـ
١٨٤ ص : ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٨-٩٠٩٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١- التوحيد ٢- العقيد ة الإسلامية
أ- الدميجي ؛ عبدالله عمر (محقق) ب- العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٣/٨٣٧٨

رقم الايداع: ١٤٣٣/٨٣٧٨
ردمك: ٨-٩٠٩٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

الناشر
دار الفضيلة
الرياض: ١١٥٤٣ - ص.ب: ٥١١٤٢
تلفاكس: ٤٤٥٤٨١٥

التوزيع بمصر
دار الهدي النبوي
مصر - المنصورة

تقريظ الأستاذ العلامة الإمام الشيخ/ محمد بخيت المطيعي

مفتي نظارة الديار المصرية، وشيخ الحنفية بالأزهر الشريف

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بالمعجزات الباهرات، وعلى آله وصحبه وسائر أتباعه وحزبه.

وبعد: فإني قد اطلعت على كتاب: **«ما لابد منه في أمور الدِّين»**. لمؤلفه الفاضل الشيخ/ أبي بكر بن محمد عارف، المدرس بالحرم المكي، صانه الله من الأعداء. فوجدته كتابًا يحتاج إليه المبتدىء ولا يستغني عنه المنتهي، فقد حوى من العقائد الدينية خلاصة ما في الكتب المطولة، مع عذوبته في الأسلوب وسهولته في المعاني، قد اجتنب صاحبه فيه الإيجاز المُخِلّ والتطويل الممل، فجاء كتابًا وسطًا وخير الأمور أوساطها.

جزى الله مؤلفه أحسن الجزاء، وأكثر من أمثاله في السادة العلماء، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وفقني الله وإياه لما فيه رضاه، إنه السميع القريب المجيب.

كتبه

الفقير إلى الله الغني عمن سواه

محمد بخيت المطيعي الحنفي، بالأزهر

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه، وسائر

إخوانه في الله تعالى

تقريظ العلامة الأستاذ الفهامة/عبد المعطي السقا الشافعي الأزهري

الحمد لله يوافي نعمه ويكافىء مزيده، والصلاة والسلام على من دعا إلى توحيد ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه وعترته وأحبابه.

أما بعد: فلما وفد على مصر المحروسة (١٣٣٢هـ)، الفاضل العلامة والحبر البحر الفهامة، الأستاذ الشيخ/ أبو بكر خوقير، المدرس بالحرم الشريف المكي.

أتحفنا بتأليف له متن في «**ما لابد منه في أمور الدِّين**»، فألفيناه وقد وضع على نمط يسهل معه تناول ما حواه للطالب، ولو أن كل مؤلف نحا ما نحاه الأستاذ في وضع كتابه، لما شكا قارىء صعوبة، فجزاه الله خير الجزاء، ووفقه على الدوام لإبراز مثل هذا المؤَلَّف في الفنون المتداولة، إنه سميع مجيب الدعاء.

حرره في اليوم الثامن عشر، من شهر شوال المبارك، سنة: (١٣٣٢هـ).

كتبــــه

الفقير إليه سبحانه وتعالى

عبد المعطي السقا الشافعي

المدرس بالأزهر

تقريظ الفاضل الهمام الشيخ/ أبو طالب الحنبلي الأزهري

الحمد لله الذي أمد أحبابه بالحكمة والمعارف، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي من اتبعه وقي من جميع المخاوف، وعلى آله وصحبه المتصفين بالرشد واللطائف.

أما بعد: فقد اطلعت على هذا الكتاب فوجدته كثير النفع بديع الصُنّع، لما اشتمل عليه من بيان العقائد الصحيحة السلفية، قاطعًا للبدع الفاسدة الغير مرضية.

فهذا الكتاب الفريد في بابه لم ينسج أحد على منواله، كيف ـ لا ـ وهو يسر الناظرين، وشاهد لمؤلفه بالفضل وصنع الجميل، وناطق بعلو همته بين المسلمين. والله يهدي من يشاء إلى بيان أحكام شرائع الدِّين، ولا يضيع أجر العاملين.

كاتبه بخطه وقائله بلسانه وقلبه
الفقير إليه تعالى
أبو طالب الحنبلي
المدرس بالأزهر

تقريظ العلامة الشيخ/ محمد الذهبي الحنبلي الأزهري

حمدًا لمن له الحمد والمِنَّةُ، وصلاة وسلامًا على نبي الرحمة، سيدنا محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه السادة الأعيان.

وبعد: فقد اطلعت على هذا الكتاب الجليل، فوجدته عديم المثيل؛ لما احتوى عليه من جميع الشوارد، وعموم الفوائد والفرايد، من أحكام أصول الدِّين، التي بها تمسك أهل اليقين. لصاحبه قدوة الأماثل، وعمدة العلماء الأفاضل، مربي السادة العاملين، ومرشد القادة النجباء الراشدين، لا زال محفوظًا بعناية رب العالمين، ونفع بكتابه عموم المسلمين.

تالله إنه لكتاب ناطق بالعدل، شاهد لمؤلفه بالبراعة والفضل، قاصم للبدع الفاسدة المضلة، مثبتًا لعقايد السلف الصالح المرضية.

لقد أبدعه مؤلفه على أحسن نظام وأكمل، وأودع فيه من الحِكَمِ ما فَصَّلَ في غيره وأجمل، تبارك الله أحسن الخالقين.

رسمه ببنانه وقاله بلسانه

الفقير إليه تعالى

محمـــد الذهبي الحنبلي

المدرس بالأزهر

تقريظ الأستاذ العلامة البركة /الشيخ حسين العبوشي الحنبلي الأزهري

الحمد لله المبديْ المعيد، الفعال لما يريد، والصلاة والسلام على أشرف حبيب وأكرم خليل، سيدنا محمد الواجب والجايز والمستحيل، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد اطلعت على كتب كثير من المتقدمين، وتصفحت مؤلفات كثير من المتأخرين، فما وجدت أسهل مورد للمبتدئين، وأعذب مصدر للمنتهين، من كتاب: «**ما لابد منه في أمور الدِّين**». فيا له من مؤلف جنى الجنْين دانيًا، للمقتطفين كافيًا للموحدين، ولا عجب فهو تأليف الأستاذ الجليل، والورع النبيل الشيخ/ أبي بكر خوقير، مدرس الحرم المكي، نفع الله به العباد، وألهمه الحكمة والسداد، وجعله ركنًا حصينًا للدِّين، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

كتبه الفقير إلى ربه القدير
حسين العبوشي الحنبلي
المدرس بالأزهر الشريف

تقديم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على الرسول المجتبى، والنبي المصطفى، وعلى الآل والصحب ومن على النهج اقتفى.

أما بعد: فيسرني أن أقدم لباكورة نتاج المشروع العلمي، المتعلق بجمع وتحقيق ونشر كتب ورسائل علماء البلد الحرام، في القرن الرابع عشر الهجري، في العقيدة السلفية، وكان في مقدمتهم: العلم العلاّمة/ أبو بكر بن محمد عارف خوقير، المتوفى سنة: (١٣٤٩هـ) بمكة المكرمة.

وقد ترك لنا جملة من المؤلفات العقدية، الدالة على سعة في العلم، وغَيرَة على العقيدة، وحرص على بيان الحق والدعوة إليه، والرد على الشبه والاعتراضات التي يثيرها المناوؤون حول بعض المسائل العقدية.

وأول هذه الكتب هو: «ما لابد منه في أمور الدين». الذي نقدم للقسم الأول منه، وهو المتعلق بالعقيدة. أما القسم الثاني فقد أشار إليه المصنف ـ رحمه الله ـ في خاتمة الطبع لهذا القسم، فقال: «وسنطبع القسم الثاني مع تعليقات نفيسة على أشياء...». ولكن لم نجد لهذا القسم أثرًا وللأسف، ولم نجد من أشار إليه ممن ترجم للمصنف.

مع أن هناك أربعة كتب للمؤلف في عداد المفقود غير هذا القسم، ذكرها مترجموه؛ ومنهم: محمد رشيد رضا، في مجلة المنار (٣١ / ٣٢٩)، ونقل عنه من جاء من بعده، وهي: «ما لا غنى عنه شرح ما لابد منه». و«السجن والمسجونون». و«ما لا يسع المسلم جهله». ولعلها تسمية أخرى لكتابه: «ما لابد منه».

خاصة وأنه لم يذكره إلا عبد الستار الدهلوي في: فيض الله المتعالى، (٣/ ٢٧٦).

إضافة إلى كتاب: «حسن الاتصال بفصل المقال، في الرد على بابصيل وكمال». ويبدو أنه رد على المعترضين على كتابه: «فصل المقال».

وهذا الكتاب الذي نقدم له، ذكر المصنف ـ رحمه الله ـ منهجه في مقدمته، فقال: «سلكت فيه الطريقة العصرية، والسنة النبوية، في التعليم والسؤال والجواب، كما في حديث: الإسلام والإيمان والإحسان؛ لأن السؤال نصف العلم، والجواب بعده أوقع في النفس، وأسرع للفهم والحفظ».

سلك فيه مصنفه مسلك البسط والتسهيل، والبعد عن الحشو والتطويل، ويظهر أنه ألّفه ليكون مقررًا للمدارس في العقيدة، وجاء في صفحة العنوان المطبوع بعد التعريف به: «عسى أن يكون هذا الكتاب هو الضالة المنشودة للمدارس في العقيدة الإسلامية».

وقال: «كتبته لأبنائنا على وجه ينشرح به الصدر، ويمازج بشاشة القلب، حين قلّ السائل والمسؤول في مذهبنا، وصعب جمع ما ينبغي اعتقاده، وتخليصه من الأبحاث والأقاويل، وما فيها من التشنيع والتضليل».

والمصنف ـ رحمه الله تعالى ـ يظهر من كتابه، أنه سلفي المعتقد، صافي المشرب، يعتمد على الدليل الشرعي، ولا يرضى له بديلاً، وقد جاء التصريح بذلك على غلاف النسخة المطبوعة في عصره رحمه الله، التي راجعها بنفسه، وأقرها في خاتمة الطبع، وفيها: «هذا كتاب: ما لابد منه في أمور الدين، على طريقة السلف الصالح، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه».

وقد اعتمد المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في هذا الكتاب ـ إضافة إلى الوحيين، الكتاب والسنة ـ على بعض كتب علماء السلف من المتقدمين والمتأخرين؛ ومنها: عقيدة أهل الحديث للصابوني، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ومنها: الواسطية. وكتب ابن القيم، ومنها: مدارج السالكين، وزاد المعاد، وتفسير الحافظ ابن كثير، وفتح الباري للحافظ ابن حجر، وابن حجر المكي، والسفاريني، والبهوتي، والحجاوي، ومرعي الحنبلي. واستفاد من كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه، تحت المطلب الرابع فيما ينافي التوحيد.

وقد اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على النسخة المطبوعة في عصر المؤلف، سنة: (١٣٣٢هـ)، بمطبعة التمدن بالقاهرة، والتي قال عنها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في خاتمة الطبع: «فقد تم طبع القسم الأول من كتاب: ما لابد منه في أمور الدين، في غاية التصحيح والتحسين، بالمقابلة على الأصل الذي بخطي، وإعادة نظري عليه حين وصولي إلى مصر المحروسة...». وعليه فهو ـ في نظري ـ أوثق من أصله المخطوط، المحفوظ في مكتبة جامعة الملك سعود، برقم: (٧٣١)، وعدد أوراقها (٤٣) ورقة.

وقد قمت بعزو الآيات إلى سورها وترقيمها، وتخريج الأحاديث، والتعريف بما يحتاج إلى تعريف، والتعليق على بعض المسائل التي تحتاج ـ في نظري ـ إلى إيضاح أو بسط أو تعليق.

أسال المولى عز وجل أن يجزي مؤلفه خير الجزاء، وأن يجعله من

الأعمال الباقية التي يلحقه ثوابها من غير انقطاع بعد وفاته، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده المؤمنين.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. عبد الله بن عمر الدميجي
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

ترجمة المؤلف

أولاً: العصر الذي نشأ فيه الشيخ:

كانت مكة المكرمة خاضعة للدولة العثمانية منذ توليها زمام الأمور بمصر عام (٩٢٣هـ) وأقروا الأشراف على إمارتها مكتفين منهم بالدعاء للخليفة العثماني على المنبر، وإرسال الصدقات والهبات من مصر إلى مكة دون تدخل في شؤون الحجاز الداخلية الجزئية، مع بعض الامتيازات المادية والمعنوية[١].

واستمر وضع الحجاز على هذه الحال إلى بداية حياة الشيخ أبي بكر خوقير المولود سنة ١٢٨٢هـ، فقد وُلد في ولاية الشريف عبد الله بن محمد بن عبد المعين الذي تولى بعد وفاة والده سنة (١٢٧٤هـ) إلى أن توفي عام (١٢٩٤هـ) في الطائف. ثم أقام الوالي التركي أخاه الشريف عون الرفيق وكيلًا في الأمارة، وفي هذه الأثناء حصلت أحداث جسام في مقر الخلافة بتركيا حيث نجحت حركة «تركيا الفتاة»[٢] إلى عزل السلطان عبد العزيز ثم خلعه وأقاموا مكانه السلطان مراد ثم خلعوه، ونصبوا السلطان عبد الحميد، وكانت هذه الأحداث في عام ١٢٩٤هـ وفي هذه الأثناء اختير

(١) ينظر: تاريخ مكة لأحمد السباعي (ص٤٥٧) والعلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز د. فائق بكر الصواف (٥٤- ٤٧).

(٢) هي حركة قومية تركية علمانية نشأت عام ١٢٨٢هـ، ثم تدرجت بإنشاء جمعيات سرية ماسونية يهودية مثل جميعة الاتحاد والترقي، هدفها هدم الخلافة وحرب الإسلام. ينظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب (١٠٣٨- ١٠٣٩).

الشريف الحسين بن محمد بن عبد المعين أميرًا لمكة، واستمرت إمارته حتى اغتيل عام ١٢٩٧هـ، ثم عُيِّن بدلًا منه الشريف عبد المطلب بن غالب الذي كان مناوئًا لحرب الاتحاد والترقي، مؤيدًا للسلطان عبد الحميد، إلى أن تم عزله وتولية الشريف عون الرفيق عام ١٢٩٩هـ إلى أن توفي بالطائف سنة ١٣٢٣هـ، ثم ولي بدلًا منه الشريف علي بن عبد الله فظل أميرًا على مكة لمدة سنتين ونصف[1]، وفي هذه الأثناء تمكن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي من الانقلاب عسكري فلم يبق للسلطان عبد الحميد إلا الاسم، ففرّ الشريف علي إلى مصر، وصدر قرار الاتحاديين بعزله وتولية الشريف عبد الإله بن محمد بن عبد المعين، وكان طاعنًا في السن، فتوفي قبل أن يغادر الأستانه إلى مكة عام (١٣٢٦)هـ. ثم احتدم التنافس بين اثنين من الأشراف في الأستانة على الإمارة إلى أن ظفر بها الشريف حسين بن علي؛ فوصل مكة في ذي القعدة (١٣٢٦هـ)[2]، ثم عزل الاتحاديون السلطان عبد الحميد عام (١٣٢٧هـ) وولّوا بعده سلطانًا طاعنًا في السن وهو محمد رشاد؛ فسيطروا على تدبير الأمور سيطرة كاملة، ثم ساءت العلاقات بينهم وبين الشريف حسين، وقامت الحرب العالمية الأولى في عام (١٣٣٢هـ)، ودخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا، فاستمالت بريطانيا الشريف حسين إلى جانبها؛ ووعدته برعاية قيام دولة عربية مستقلة، فقامت الثورة سنة (١٣٣٤) واستخلصت مكة وجدة من الأتراك، ثم بويع عام (١٤٣٥هـ) للحسين بمكة ملكًا على بلاد العرب، لكن البريطانيين تخلّوا عن وعودهم

---

(١) مكة في القرن الرابع عشر لمحمد عمر رفيع (ص٢٤٥- ٢٤٦) وتأريخ مكة (ص٥٥٧).

(٢) العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز (ص١٠٢) وتأريخ مكة (ص٥٦٠- ٥٦١).

له بعد أن حققوا منه ما أرادوا.

وفي هذه الأثناء كان الشريف حسين يطعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ وأهل نجد ويرميهم بالكفر وتكفير المسلمين، وبعد نهاية حربه ضد الدولة العثمانية بدأ تفكيره بغزو نجد للانتقام من ابن سعود ومحو البدعة الوهابية[١] كما زعم.

فأرسل جيشه عام (١٣٣٧هـ) إلى قبيلة عتيبة، وفي العام نفسه أرسل جيشه بقيادة ابنه عبد الله إلى تربه، وقد كان عظيم الاغترار بجيشه ومعداته، ولكن الإخوان بقيادة الشريف خالد بن لؤي رحمه الله ـ أمير الخرمة ـ كانوا له بالمرصاد، فصدوا الهجوم، وأفنوا غالبية الجيش، ولم يتمكن إلا نفر قليل من الفرار منهم قائد الجيش[٢]، وفي هذه الأثناء زادت العلاقة بين ابن سعود والشريف حسين سوءًا، ومنع الشريف حجاج الإخوان إلى أن تقدم الإخوان بقيادة خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد رحمهما الله زحفًا إلى الطائف عام (١٣٤٣هـ) فاستولوا عليها، ثم عزل أهل الحجاز الشريف حسين وولوا مكانه ابنه عليًا، فغادر الحسين مكة إلى جدة ثم منها إلى عمّان عام (١٣٤٣هـ) ثم غادر ابنه علي بن الحسين مكة فدخلها الإخوان معتمرين منادين بالأمان لأهلها وتغيير المنكرات الظاهرة فيها بهدم قباب القبور ونحوها. بعد ذلك زحف الجيش إلى جدة فحاصرها إلى أن سلّم الشريف

---

(١) ينظر: الوهابيون والحجاز (ص٣٠، ٣١).

(٢) ينظر: تاريخ نجد الحديث (ص٣٥١) والوهابيون والحجاز (ص٣٠) وتأريخ مكة (ص٦٢٥- ٦٢٦).

علي البلاد وغادر جدة في ٦/ ٦/ ١٣٤٤هـ[١].

وفي ٢٥/ ٦/ ١٣٤٤هـ تمت مبايعة السلطان عبد العزيز رحمه الله بالحرم المكي ملكًا على الحجاز ونجد وملحقاتها، وعلى ذلك استمر حال مكة إلى اليوم تحت حكم آل سعود في أمن وإيمان ورخاء وتوحيد ولله الحمد. وقد ولى الملك عبد العزيز رحمه الله نجله فيصلًا ـ رحمه الله ـ أميرًا لمكة ونائبًا له عليها إلى أن توفي رحمه الله سنة ١٣٧٣هـ[٢].

وكانت مكة في ذلك العصر تموج بخليط من الأجناس والعائلات من شتى بلاد العالم الإسلامي من العرب وغيرهم، وقد نقلت هذه العائلات موروثاتها العقدية وعاداتها وتقاليدها إلى مكة، وكان التعليم في ذلك الزمان تقليديًا قائمًا على حِلق العلم في المساجد، وخاصة المسجد الحرام، كما أنشئت بعض المدارس كالصَّوْلتية والفخرية ومدارس الفلاح[٣]، إلى أن جاء العهد السعودي الزاهر، فاتسعت رقعة التعليم وتعددت مدارسه، وكان التصوف في ذلك العصر قد ضرب بأطبابه في مكة، وكانت القباب على

---

(١) تاريخ مكة (ص٦٥١ - ٦٥٨) وتأريخ نجد الحديث (ص٦٤٠).

(٢) ينظر: تاريخ أمراء البلد الحرام لعبد الفتاح حسين راوة (ص٤٦٣) وينظر: الشيخ أبو بكر خوقير وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف (ص٤ - ٢١) د. بدر الدين ناضرين، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى.

(٣) الصولتيه نسبة إلى امرأة ثرية من الهند، تسمى (صولة النساء) قامت بتمويل إنشاء هذه المدرسة بإشراف الشيخ رحمه الله الهندي سنة (١٢٩١هـ).
والفخرية أنشأها أحد أساتذة المدرسة الصولتيه عام ١٢٩٦هـ. والفلاح أنشأها أحد المحسنين ـ جزاه الله خيرًا ـ عام ١٣٤٠، وهي باقية إلى اليوم.
ينظر تاريخ مكة (٥٨١ - ٥٨٢)، والشيخ أبو بكر... (ص٢٥).

القبور والأضرحة تملأ أرجاء مكة والناس عليها أسراب إثر أسراب، وشجع على ذلك تبني الدولة العثمانية والأمراء في مكة له. ولما قامت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وانتشرت في الأقطار، وأبى كثير من علماء تلك الأقطار إلا مخالفة الدعوة لما ألفوه من أمور نسبوها إلى الدين، وما هي من الدين في شيء، فاستغل الساسة هذه النفرة لحرب الدعوة، وساعدهم في ذلك بعض علماء السوء، وكان من أكبر المناوئين لدعوة الشيخ محمد رحمه الله مفتي الشافعية بمكة في ذلك الزمان أحمد زيني دحلان (ت: ١٣٠٤هـ) الذي نشط في عداوة الدعوة والكذب والافتراء عليها، وتكفير أهلها، وألّف في ذلك العديد من الرسائل منها: «الرد على الوهابية» مطبوعة، وجاء بعد دحلان بعض تلامذته الذين سلكوا منهجه في معاداة دعوة التوحيد، ومن أبرزهم وريثه الذي تولى إفتاء الشافعية بعده في مكة محمد سعيد بن محمد بابصيل (ت: ١٣٣٠هـ) وله مؤلفات في الرد على علماء الدعوة، ومنهم الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله.

ثانيًا: مولده ونشأته وأسرته:

في هذا الجوء المليء بالأحداث والصراعات السياسية والعقدية والاجتماعية ولد الشيخ أبو بكر بن محمد بن عارف بن عبد القادر بن محمد بن علي خوقير في ٢٦ ذي الحجة عام ١٢٨٤هـ كما أفاد عمه صَدِّيق خوقير، وذهب بعض المؤرخين إلى أنه من مواليد ١٢٨٢هـ[1] في بيت علم بمكة، فوالده هو الفاضل الإمام بالمقام الحنفي الشيخ محمد عارف خوقير،

(١) ينظر: سير وتراجم لعمر عبد الجبار (ص٢٢)، أعلام المكين لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي (ص٤١٥).

وجدّه العلامة الفرضي عبد القادر بن الشيخ محمد علي خوقير، وأسرتهم من البيوت المشهورة في مكة بالوجاهة والثراء، وأصلهم من الهند، ومعنى (خوقير) قيل إنها: نسبة إلى قبيلة في الهند من جهة: كوجرات والبنجاب، وقيل: إنها كلمة فارسية معناها: المالك لطبيعته، أو الممسك بعاداته[١]، وكان للشيخ ابنان توفيا في حياته، وهما: عبد القادر؛ وتوفي في السجن من أجل معتقده السلفي، قيل: خنقًا، والآخر حسن: مرض فمات أيام سجن أبيه، وليس لهما عقب. وللشيخ ثلاثة أعمام؛ عبد الرحمن وعبد الله وصدّيق، ولوالده أعمام ولهم ذرية موجودة[٢].

نشأ الشيخ محبًّا للعلم شغوفًا به؛ نشأ في بيت علم ـ كما تقدم ـ، حفظ القرآن في صغره، ثم اشتغل بطلب العلم، وكان مولعًا بكتب الحديث ومطالعتها، فكان يسافر إلى الهند من أجل جلب كتب السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ ثم يقوم بنشرها وبيعها في مكة، وكان ينتهز فرصة وجوده في الهند فيتلقى العلم عن علمائها المشهورين.

وقد هداه الله تعالى إلى الإلتزام بمنهج السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ على يدي الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى رحمه الله (ت: ١٣٢٨هـ)، فقد تتلمذ عليه واستفاد منه.

يقول رحمه الله: «قرأت عليه في علم التوحيد والفقه الحنبلي وسمعت منه شرحه على النونية لابن القيم في مجلدين وكتابه تنبيه النبيه والغبي المطبوع

(١) الشيخ أبو بكر خوقير (ص٣٤).

(٢) مكة في القرن الرابع عشر (ص٢٨٤).

في مصر...»[١].

ثم عكف على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهما الله تعالى ـ فشغل ذهنه ما كان عليه الناس من انحراف خطير عن عقيدة التوحيد، فأخذ يدعو الناس إلى العودة إلى ما كان عليه سلفهم ـ رحمهم الله ـ من توحيد الله عز وجل، فأخذ يقرر التوحيد بأنواعه الثلاث، ويدعو إلى نبذ البدع والخرافات[٢].

وكان ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ مهذبًا، رقيق الطبع، حسن المعاشرة، على قوة في دينه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وكان مجلسه لا يخلو من دُعابة ونكت أدبية وتاريخية[٣].

ثالثًا: رحلاته العلمية:

كان للشيخ عدّة رحلات من بينها رحلاته إلى الهند، فرحل إلى دلهي عام (١٣٠٧) وبهوبال عام (١٣١٢هـ) وبوفال عام (١٣١٧هـ)، وذلك من أجل جلب كتب السلف، ثم القيام بنشرها في مكة[٤]، كما كانت له رحلات إلى مصر في فصل الصيف الحار بمكة ومن أجل طباعة كتبه، وكان في أثناء هذه الرحلات يلتقي بعلماء الأزهر ويتبادلون الأحاديث حول المسائل

(١) ثبت الأثبات (ق: ٥).

(٢) سير وتراجم (ص١٣).

(٣) مشاهير علماء نجد (ص٤٣٧).

(٤) مجلة المنار، مجلد (٣١) الجزء الثالث من سنة (١٣٤٩هـ) (ص٢٤٠).

العلمية[١].

رابعًا: مشايخه:

تلقى الشيخ عن عدد كبير من المشايخ الذين يفدون إلى مكة في المواسم وغيرها، والذين يلتقي بهم في رحلاته، وأخذ عن بعضهم الإسناد، يقول رحمه الله: «رويت عن مشايخ معروفين مشهورين بعلوّ الإسناد منهم:

١- الشيخ حسين بن عيسى اليماني.

٢- القاضي أحمد بن إبراهيم بن عيسى (١٢٥٣- ١٣٢٨هـ).

٣- الشيخ محمد الأنصاري (١٢٢٠ -١٣٠٨).

٤- الشيخ محمد بن عبد العزيز الهاشمي الجفري الهندي (١٢٥٢- ١٣٢٠هـ).

٥- أحمد دحلان، مفتي الشافعية في مكة، وتقدمت الإشارة إليه (١٢٣١- ١٣٠٤هـ).

٦- الشيخ عبد الرحمن سراج مفتي مكة (١٢٤٩هـ - ١٣١٤هـ).

٧- الشيخ حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي (١٢٢٥- ١٣٢٧هـ).

٨- محمد بن سعيد بن سنبل»[٢].

---

(١) سير وتراجم (ص١٧)، والإضافات على النعت الأكمل (ص٤١٦).

(٢) سير وتراجم (ص١٧، ١٨)، والإضافات على النعت الأكمل (ص٤١٦).

٩- كما قرأ على جده عبد القادر بن محمد خوقير (١٢٤٦ - ١٣٠٤هـ) أكثر الشفاء للقاضي عياض بشرح الملا علي القاري، وشرح نخبة الفكر لابن حجر[١].

١٠- الشيخ محمد نذير حسين الدهلوي (١٢٢٠- ١٣٢٠هـ) تلقى عنه بدهلي بالهند.

١١- الشيخ محمد خليل القاونجي الطرابلسي (١٢٢٤- ١٣٠٥).

١٢- الشيخ محمد الأنصاري السهارنفوري (١٢٢٠ - ١٣٠٨هـ).

١٣- الشيخ علوي بن صالح بن عقيل (١٢٦٣-) وغيرهم من العلماء[٢].

خامسًا: تلاميذه:

وقد قام بالتدريس في الحرم المكي في زمن الأشراف، وبعد خروجه من السجن في زمن الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، فتتلمذ عليه خلق كثير من أبرزهم:

١- سليمان بن عبد الرحمن الصنيع (١٣٢٣- ١٣٨٩هـ).

٢- أحمد علي أسد الله الكاظمي.

٣- عبد الله بن عبد الغني خياط[٣] (١٣٢٦ - ١٤١٥هـ).

---

(١) ثبت الأثبات (ق ٩).

(٢) ثبت الأثبات (ق ١١)، وينظر: الشيخ أبو بكر خوقير وجهوده... (ص٤٧ - ٦٧).

(٣) انظر: سير وتراجم (ص١٧)، أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر لإبراهيم الحازمي (ص٨١)، وعلماء نجلد خلال ثمانية قرون للشيخ عبد الله البسام (٢/ ٣٠٢).

٤- صالح بن عثمان القاضي (١٢٨٢- ١٣٥١هـ).

٥- حمود بن حسين الشغدلي (١٢٩٥- ١٣٩٠هـ).

٦- محمد بن حسين عمر نصيف (١٣٠٢- ١٣٩١هـ).

٧- محمد بن عبد الرزاق حمزة (١٣٠٨- ١٣٩٢هـ).

٨- عبد العزيز بن سليمان الفريح (١٣١٢- ١٣٩٥هـ)(١).

سادسًا: مؤلفاته:

اشتغل الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله بالتأليف والتصنيف مع التدريس، كما اشتغل غيره من العلماء، فترك ثروة علمية طيبة، منها ما يلي:

١ ـ التحقيق فيما يُنسب إلى أهل الطريق:

وقد عرض في هذا الكتاب لنقد المتصوفة، حيث رتّبه إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة، وهو ضمن هذه المجموعة المباركة.

٢ ـ تحرير الكلام في الجواب عن سؤال الهندي في صفة الكلام:

وهو عبارة عن جواب عن سؤال طُرح عليه حول صفة الكلام لله تعالى، فأجاب بهذه الرسالة، وعرض فيها مذهب أهل السنة والجماعة في القرآن، وأنه كلام الله غير مخلوق، ثم عرض كلام المخالفين لأهل السنة في هذه المسألة وأورد شبههم وما يحتجون به على مذهبهم، فتتبّعها بالتفنيد والردّ، وهو ضمن هذه المجموعة المباركة.

٣ ـ ما لابد منه في أمور الدين:

---

(١) الشيخ أبو بكر خوقير وجهوده.. (ص٧٢- ٨٠).

وهو كتابنا هذا الذي نقدم له، وهو عبارة عن سؤال وجواب في مسائل العقيدة، حوى خلاصة ما في الكتب المطولة مع سهولة أسلوبه وسلاسلة عباراته، فهو بين الإيجاز المخلّ والتطويل المملّ.

٤ ـ مختصر في فقه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

وهو عبارة عن كتاب مختصر في المسائل الفقهية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

وهو مطبوع بمطبعة دار الطباعة المنيرية في مصر، ويقع في أربعين صفحة، وقد حققه الأخ الفاضل د. عبد المحسن الصاعدي ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ الذي طبعته جامعة أم القرى عام ١٤٢٥هـ.

٥ ـ مسامرة الضيف في رحلة الشتاء والصيف:

وهو كتاب أدبي لطيف على نسق كتاب الجاحظ «سلوة الحرّيف بمناظرة الربيع والخريف».

وهو مطبوع، طبع في بيروت سنة (١٣٢٠هـ) ويقع في ثلاث وتسعين صفحة، وقد أعيدت طباعته ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ الذي طبعته جامعة أم القرى عام ١٤٢٥هـ بتحقيق الزميل أ.د. عبد الله بن إبراهيم الزهراني.

٦ ـ ثبت الأثبات الشهيرة:

وهذا الكتاب عبارة عن أسانيده ومشايخه الذين أخذ عنهم بالإسناد المتصل.

وقد حققه الزميل د. حاتم الشريف ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ الذي طباعته الجامعة عام ١٤٢٥هـ.

٧ ـ فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهّال:

وسبب تأليفه لهذا الكتاب أنه ورد إلى جدة رجل من أهل الهند فذهب له الشيخ من أجل المدارسة والمذاكرة، وحصلت بينهما مذاكرة في مسألة التوسّل، وما يتفرع عنها من مسائل، فتبيّن للشيخ أن هذا الرجل من أهل البدع، فما كان منه إلا أن كتب هذه الرسالة يوضح فيها مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، ويعرض لشُبه أهل الضلال على المسألة ذاتها، ثم يقوم بالرد عليها ويُورد كلام العلماء حول كل شبهة، كما بيَّن في هذه الرسالة أنواع التوسل الجائز، والتوسل الممنوع.

وهو مطبوع بمطبعة المنار الإسلامية بمصر سنة (١٣٢٤هـ) على نفقة الشيخ عبد القادر التلمساني رحمه الله، ويقع في (٧٢) صفحة.

وهو أحد رسائل هذه المجموعة المباركة وقد طُبع ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ الذي طبعته الجامعة عام ١٤٢٥هـ.

٨ ـ حسن الاتصال بفصل المقال في الرد على بابصيل وكمال.

وهو ـ فيما يبدو ـ ردّ على رسالة محمد سعيد بابصيل (ت: ١٣٣٠هـ): «القول المنير في الرد على رسالة أبي بكر خوقير»، وعلى رسالة محمد صالح بن صديق كمال (ت: ١٣٣٢هـ): «إقامة التكبير على رسالة أبي بكر خوقير من كلام الأئمة الحنابلة».

٩ ـ السجن والمسجونون.

١٠ ـ ما لا غنى عنه شرح ما لابدّ منه.

١١ ـ القسم الثاني: مما لابد منه الخاص بالعبادات:

ذكره في مقدمة القسم الأول من قسم الاعتقاد.

وهذه الكتب الأربعة الأخيرة ذكرها صاحب مجلة المنار (٣١/ ٣٢٠) لكن لم نعثر لها على أثر بعد البحث والتقصي. والله أعلم.

سابعًا: وظائفه:

لقد تقلَّد الشيخ عدّة وظائف رسمية أيام حكم الأشراف ثم في عهد حكم الملك عبد العزيز رحمه الله ومنها:

١ ـ إمامة الصلاة في الحرم المكي الشريف في المقام الحنبلي والإفتاء والتدريس إلى أن عزله الشريف عون عام (١٣١٤هـ) مع غيره من العلماء، وبعدها اشتغل بتجارة الكتب.

٢ ـ كتابة الفتوى والاستشارة لمفتي الحنابلة الشيخ أحمد فقيه الشافعي، ثم تعيينه مفتيًا للحنابلة وبعد يومين فقط عزله الشريف حسين عام (١٣٢٧هـ) بوشاية من معاصريه واتهامه بالوهابية.

٣ ـ عضو مجلس الشيوخ إلى أن عزله الشريف حسين.

٤ ـ بعد خروجه من السجن وقبل وفاته بسنة أمر الملك عبد العزيز

رحمه الله بتعيينه مدرسًا بالمسجد الحرام إلى أن توفي رحمه الله [(١)].

ثامنًا: محنته:

من سنن الله ـ عز وجل ـ في عباده المؤمنين أن يبتليهم ليرى مدى ثباتهم وصبرهم على دينهم وما يلاقونه في سبيله، كما أنّ من سنن الله أن أهل الباطل لا يتركون أهل الحق دون إيذاء. ومن هذا الباب كان ما جرى للشيخ أبي بكر خوقير رحمه الله حينما تعرّض للسجن، وذلك بسبب دعوته إلى محاربة البدع والخرافات، ولاسيَّما بدع القبوريين والمتصوفين، فبلغ ذلك حكام البلاد آنذاك فتربصوا به، وضيقوا عليه، ومنعوه من التدريس، إلى أن أمر الشريف حسين بن علي بالقبض عليه فسجنه مع المجرمين في غرفة واحدة، وذلك عام (١٣٣٩هـ) حيث سُجن دون تحقيق أو حكم، وظل في السجن ثمانية عشر شهرًا، ثم نحوًا من سبعين شهرًا، يعني زهاء سبع سنوات، ولم يُفرج عنه إلا بعد أن دخل جيش الإخوان مكة، وزالت دولة الأشراف.

يقول عمر عبد الجبار رحمه الله وهو يحدّث عن حال الشيخ في السجن: «لقد شاهدت الشيخ أبا بكر أثناء دخولي السجن في غرفته بملابس رثّة، وهو أشعث، طال شعر رأسه ولحيته ـ إذ لا يُسمح لسجين باستعمال مقص أو موسى ـ فسلّمت عليه فردّ السلام وقال: إن الله مع الصابرين، ولي أسوة بإمامنا أحمد بن حنبل رحمه الله، وظلّ في السجن إلى أن أُفرج عنه مع بقية

---

(١) ينظر مجلة المنار (٣١/ ٢٤٠) والثورة العربية الكبرى (٣/ ١٣٣) والعلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز (ص٣٤٧)، والشيخ أبو بكر خوقير وجهوده... (ص٩٠٠).

السجناء بعد استيلاء الملك عبد العزيز على مكة عام (١٣٤٣هـ)، وبعد خروجه اعتزل الوظائف ولازم المسجد والبيت»(١).

وقد انبرى بعض المناوئين والمخالفين له في المعتقد بالرد عليه وتأليف الكتب في ذلك، وكلها تنبئ عن تعصب ذميم وحقد دفين، لم تزد الشيخ إلا ثباتًا، ولا لمنهجه إلا انتشارًا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها نار حسود(٢)

تاسعًا: ثناء العلماء عليه:

إن المتتبع لكلام العلماء والمعاصرين للشيخ أبي بكر، يجدهم قد اتفقوا على الثناء عليه، وعلى وصفه بصفات المدح والإجلال، وهذا من عاجل بُشرى المؤمن من الذكر الحسن عند الناس في حياته وبعد موته رحمه الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾(٣).

ومن هذه الموروثات في الثناء عليه:

ما قاله عنه الشيخ عثمان القاضي ـ رحمه الله ـ: «كان آية في علم الحديث،

---

(١) سير وتراجم (ص١٩ - ٢٠)، وتفسير المنار (٤/ ١٠). وينظر: جهود علماء البلد الحرام في تقرير العقيدة السلفية في القرن الرابع عشر الهجري (ص٣٧٤)، رسالة ماجستير، د. عبد المحسن بن ردة الله الحربي.

(٢) من قول أبي تمام. ينظر ديوان (ص٢٧٨).

(٣) سورة مريم، الآية: (٩٦).

وكان من أخص زملائنا في مكة، وله شهرة وصيت ذائع، رحمه الله»(١).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ: «صديقنا العالم، العامل، المصلح الشيخ أبو بكر خوقير...»(٢).

وقال الشيخ عبد الستار الدهلوي ـ رحمه الله ـ: «صديقنا الفاضل السلفي، ورفيقنا الكامل الأثري...»(٣).

وقال الشيخ محمد منير الدمشقي: «الشيخ الوقور، والمجاهد الغيور...». وقال: «وهكذا شأن العلماء المخلصين الموحدين العاملين، فلهم أسوة بمن تقدم من الأنبياء والمرسلين، والعلماء الوارثين، رحمهم الله، وجعل الجنة مثواه»(٤).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: «الشيخ التقي المحقق، أبو بكر ابن الشيخ محمد عارف...»، وقال: «رحم الله الشيخ أبو بكر خوقير حيث جاهد في الله بقلمه ولسانه حق جهاده، وأوذي في ذات الله، فما ضعف وما استكان، والله يحب الصابرين»(٥).

وقال الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «كان رحمه الله على جانب عظيم من العلم، وله اليد الطولى في الفقه وأصوله، والتوحيد، والحديث، والتفسير.

---

(١) تاريخ حوادث نجد وملحقاتها (ص٢٧) باختصار.

(٢) مجلة المنار (٣١/ ٢٤٠).

(٣) فيض الملك المتعالي (ق٣/ ٢٧١).

(٤) نموذج من الأعمال الخيرية (ص١٠٠ - ١٠٢).

(٥) مشاهير علماء نجد (ص٣٣٩).

ووجدت أهل مكة يحسنون الثناء عليه جدًا، ويصفونه بالعبادة والعفة، وحسن السيرة، وسمت السلف واعتقادهم.

ورأيت له كتاب «ما لابد منه» وهو كتاب يدل على سعة اطلاع الرجل، وحسن اعتقاده» اهـ[١].

وقال الشيخ زكريا بيلا ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «العالم الوقور، المتضلع، السلفي، الأثري، الكبير...» اهـ[٢].

هذا بالإضافة إلى تقريض العلماء الكبار لكتبه وثنائهم على المؤلِّف والمؤلَّف. ومنها ما تقدم ذكره من تقريض لهذا الكتاب (ما لابد منه) كما قرض غيرهم بعض كتبه الأخرى[٣]، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

عاشرًا: وفاته:

اتفقت المصادر التي ترجمت للشيخ على أن وفاته كانت سنة (١٣٤٩هـ)[٤]، وكانت بعض المصادر أكثر تحديدًا، فذكرت أن وفاته في يوم الجمعة، غرة ربيع الأول[٥].

وعلى أن وفاته كانت بالطائف[٦]، وذكر الشيخ عبد الله بن غازي أن

---

(١) تسهيل السابلة لمريدي علماء الحنابلة (٣/ ١٧٩٧)، ترجمة رقم (٣١٢٧).

(٢) الجواهر الحسان (ص٤٢٠).

(٣) ينظر: الشيخ أبو بكر خوقير وجهوده... (ص٨١- ٩٥).

(٤) تاريخ حوادث نجد وملحقاتها (ض٢٧)، علماء الحنابلة رقم (٣٨٥٥).

(٥) مجلة المنار (٣١/ ٣٢٠)، نموذج من الأعمال الخيرية (ص١٠١).

(٦) الجواهر الحسان (ص٤٢١)، سير وتراجم (ص٢٤)، مجلة المنار (٣١/ ٣٢٠).

وفاته كانت: «بمكة، ودفن بالمعلاة»(١) ، والصواب الأول.

وكان ذلك عن عمر يناهز السبعين، إثر إصابته بمرض الزُّحار(٢) ، وهو داء يصيب البطن.

وقد عد النبي ﷺ المبطلون من الشهداء، كما جاء في الحديث: **«الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله»**(٣) .

فنسأل المولى العلي القدير أن يكتبه في عِداد الشهداء، وأن يرحمه رحمة واسعة، وأن يسكنه فسيح جناته، أن يجمعنا به وأحبابنا في جنات النعيم، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.



---

(١) نثر الغرر (ق١٧).

(٢) سير وتراجم (ص٢٤)، مجلة المنار (٣١/ ٣٢٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجماعة والإمام، باب فضل التهجير إلى الظهر (١/ ٢٣٣/ ح٦٢٦)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء (٣/ ١٥٢١/ ح١٩١٤). والمبطون: الذي يموت بداء البطن، وهو الإسهال وغيره. انظر: النهاية (١/ ١٣٦)، شرح مسلم (١٣/ ٦٢).

النص المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فقه من أراد به خيرًا في الدِّين، فألهمه الإخلاص في التوحيد واليقين، ومنَّ عليه بمتابعة نبيه الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله الصادقين، وأصحابه المخلصين.

أما بعد: فهذا: **«ما لابد منه في أمور الدِّين»**، كتبته لأبنائنا على وجه ينشرح به الصدر، ويمازج بشاشة القلب، حين قَلَّ السائل والمسؤول في مذهبنا، وصعب جمع ما ينبغي اعتقاده، وتخليصه من الأبحاث والأقاويل، وما فيها من التشنع والتضليل، سلكت فيه الطريقة العصرية، والسُنَّة النبوية في التعليم بالسؤال والجواب، كما في حديث الإسلام والإيمان والإحسان(١).

---

(١) في حاشية الأصل: قوله: «في حديث الإسلام والإيمان والإحسان». ولفظه لمسلم عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: **«تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وتقيم الصلاة، وتوتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»**. قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**. قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: **«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: **«ما المسؤول عنها أعلم من السائل»**. قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: **«أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة** =

ولأن السؤال نصف العلم[١]، والجواب بعده أوقع في النفس وأسرع للحفظ والفهم.

ورتبته على قسمين:

القسم الأول: في الاعتقاد، وهو في ثلاث أبواب، وفي كل مطالب.

والقسم الثاني: في ربع العبادات، وهو في أربعة أبواب، وفي كل باب مطلب. والله الموفق للصواب، والمعين على بلوغ المآرب.



= **يتطاولون في البنيان**». ثم انطلق، فلبثت مليا، ثم قال: «**يا عمر، أتدري من السائل؟**». قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**». رواه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان. وقد افتتح به الإمام مسلم صحيحه ح (١) (١/ ٣٦).

ورواه البخاري بنحوه في كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ، ح (٥٠) (الفتح ١/ ٢٧).

(١) روي مرفوعًا إلى النبي ﷺ ولا يصح، بلفظ: «**الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم**». عزاه السيوطي في الجامع الصغير للطبراني في: مكارم الأخلاق، والبيهقي في: الشعب.

قال ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٢٨٤) عن أبيه: «هذا حديث باطل، مخيس وحفص مجهولان».

قال الذهبي في الميزان (٤ / ٨٥) في ترجمة مخيس: «روى عنه هشام بن عمار حديثًا منكرًا» فذكره. وضعفه الألباني في الضعيفة: ح (١٥٧) (١/ ١٨٧)، وحكم عليه بالوضع في ضعيف الجامع: (٢٢٨٦) (٢/ ٢٧٩)، وتخريج المشكاة ح (٤٩٩٦).

ولعله: من كلام الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقد نسبه إليه: ابن أبي الحسين المعتزلي، في: شرح نهج البلاغة، ص (١٠٨).

الباب الأول: في معرفة الله تبارك وتعالى

وفيه: سبعة(١) مطالب:

المطلب الأول
[في كيفية الوصول إلى معرفته تعالى]

وفيه: أربعة أسئلة:

س١: ماذا يجب على الإنسان معرفته قبل كل شيء؟

ج: أول واجب عليه معرفة ربه ودينه ونبيه ﷺ، وأول نعم الله الدينية عليه وأعظمها أن [أقدره](٢) على معرفته تعالى بالنظر والاستدلال بالنقل(٣) والعقل(٤).

---

(١) في الأصل: «سبع». وهو كذلك في كل مطالب الكتاب، ثم إن الأصل أن يكون تحت الباب فصول. وتحت الفصول مطالب.

(٢) في الأصل: «قدره».

(٣) أي: الأدلة المنقولة إلينا عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهي: الكتاب العزيز، والسُنَّة المطهرة، وكذلك الإجماع؛ لأنه لا يكون إلا على أصل شرعي.

(٤) أي: المبنية على التفكير الصحيح والنظر السليم، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].
وهي دليل عقلي شرعي.
وكذلك: عن طريق الآيات الكونية المرئية من خلال المشاهدة والملاحظة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي =

س٢: كيف تكون معرفة الرب تبارك وتعالى، وكيف السبيل إليها؟

ج: بآياته ومخلوقاته، فكل صنعة تدل على صانعها، والإنسان واحد من مصنوعاته تعالى، فالله ربه الذي رباه وربى جميع العالمين بإيجاده ونعماه، ولأجل ربوبيته استحق العبادة، ولأجلها خلقهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

س٣: ما هي تلك العبادة؟

ج: هي: أقصى غاية الخضوع مع نهاية الحب له تعالى[2]؛ لكونه

= خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].
وغيرهما من الآيات.
والأدلة العقلية، وهي: دالة إجمالاً على الخالق سبحانه وتعالى. أما الشرعية؛ فهي: المفصلة والمبينة والمُعَرِّفَة بالمعبود سبحانه، وما يجب له، وأحكام دينه وشرعه.
فالعقل مرشد ودال إلى الخالق، والشرع مبيِّن ومفصِّل، وهذا النظر ليس هو النظر الذي يدعي المتكلمون أنه أول واجب على المسلم.
ثم إن هذا النظر إنما هو لمن تلوثت فطرته، أو لمن أراد أن يزداد إيمانًا ويقينًا، وإلا فإن معرفة الله تعالى فطرية فطر العباد عليها، ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

(١) سورة الذاريات، الآية: (٥٦).

(٢) العبادة تطلق على شيئين:
الأول: التعبد، وهو غاية التذلل والخضوع لله تعالى بفعل أوامره واجتناب منهياته، محبة وتعظيمًا.
الثاني: المتعبد به، وهو: اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم في كل شيء، ولذلك اتخذوه إلهًا أي مألوهًا. أي: معبودًا.

فلفظ: «الله» دال على صفة له تعالى؛ وهي الإلهية الجامعة لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهو الذي ينكره المشركون مع اعترافهم بأنه الرب الخالق الرازق، الذي ترجع إليه جميع الشؤون، فمعناه: الإله تألهه القلوب وتخضع له(١).

س٤: هل تعرف حقيقة ذاته بالعقل؟

ج: العقل قاصر عن إدراك نفسه، وله حد محدود، ولا يعرف حقيقته تعالى إلا هو، والعجز عن إدراكها إدراك.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(٢). و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(٣). فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

وقد نهينا عن التفكير في ذاته، وأمرنا بالتفكير في مخلوقاته(٤).

= انظر: العبودية لابن تيمية ص (٦-٧). وعليه: فإن الدِّين كله داخل في معنى العبادة.

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٨)، وانظر: فتح المجيد ص (٤٦) وما بعدها. وفيه: نقل لأقوال أهل العلم المتقدمين لهذا المعنى.

(٢) سورة طه، الآية: (١١٠).

(٣) سورة الشورى، الآية: (١١).

(٤) كأنه يشير إلى ما روي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، يرفعه إلى النبي ﷺ قال: **«لا تفكروا في الله، وتفكروا في خلق الله....»**. رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٦ - ٦٧) وفيه: عبد الجليل بن عطية وشهر بن حوشب، وكلاهما صدوق سيء الحفظ. انظر: التقريب (٣٣٢) و(٢٦٩)، ط: عوامة. =

وَفي كُــلِّ شيء لَــــهُ آيَــــةٌ تَــدُلُ عَــلَى أَنَّــهُ وَاحِــدٌ(١)

وكما تكون معرفته بعبادته، والنظر في مخلوقاته، تكون بمعرفة أسمائه وصفاته، وذلك هو توحيد الأنبياء والمرسلين(٢).



= وروي عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ: «تفكَّروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله عز وجل». رواه الطبراني في الأوسط (٦٤٥٦)، واللالكائي في شرح الأصول (١/ ١١٩)، والبيهقي في الشعب (١/ ٧٥).
قال الهيثمي في المجمع (١/ ٨١) عن اسناد الطبراني: «وفيه: الوازع بن نافع، وهو متروك».
وقد جمع الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ طرقه في السلسلة الصحيحة، (١٧٨٨) (٤/ ٣٩٥)، ثم قال: «وبالجملة: فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي. والله أعلم».

(١) نسبه صاحب الوفيات (٧/ ١٣٨) إلى أبى نواس، ونسبه أبو الفرج في الأغاني (٤/ ٣٥) إلى أبي العتاهية. وانظر ديوانه ص (٦٢). ونسبه الحافظ ابن كثير في التفسير (١/ ٣٢) لابن المعتز.

(٢) قال ابن القيم في مدارج السالكين (٤/ ٤٦٩): «وهذه الطريق ـ يعنى الاستدلال بأسمائه وصفاته على توحيده وعبادته ـ قليل سالكها، ولا يهتدي إليها إلا الخواص، وطريقة الجمهور الاستدلال بالآيات المشاهدة؛ لأنها أسهل تناولاً وأوسع، والله يفضل بعض خلقه على بعض، ويرفع درجات من يشاء وهو العليم الحكيم». وانظر: نقلاً عنه شرح الطحاوية (١/ ٥٣)، طبعة التركي.

المطلب الثاني
[في توحيد المرسلين، وتقسيمه إلى قسمين]

وفيه: خمس أسئلة:

س١: ما هو ذلك التوحيد؟

ج: هو على قسمين: قولي وفعلي[1] كما في القرآن العزيز.

---

(١) أو بتعبير آخر علمي وعملي:
فالتوحيد العلمي: هو ما سماه المصنف هنا: «القولي». ويسمى: توحيد المعرفة والإثبات، والتوحيد الاعتقادي والخبري، ونحوها.
وهذا النوع يشمل توحيدي الربوبية والأسماء والصفات، وهو: إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر به رسوله ﷺ.
وقد أفصح القرآن الكريم عن هذا النوع كل الإفصاح، كما في أول سورة: الحديد، وطه، وآخر سورة الحشر، وأول ﴿آلم تنزيل﴾ السجدة، وأول آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها، وغير ذلك.
والتوحيد العملي: وهو ما سماه المصنف: «الفعلي». وهو: توحيد الطلب والقصد، ويسمى توحيد العبادة والألوهية، وتوحيد الجوارح وعمل القلب ونحوها، مثل: ما تضمنته سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. وأول سورة الزمر وآخرها، وأول سورة يونس وأوسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها. وجملة سورة الأنعام. وكل سورة في القرآن متضمنة لنوعي التوحيد.
انظر: شرح الطحاوية (١/ ٤٢)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٧٩)، ومدارج السالكين (١/ ٣٣). ونونية ابن القيم (٢٣٨).

س٢: ما قسم التوحيد القولي؟

ج: هو على نوعين: سلب وإثبات.

فـ(السلب): تنزيه أوصاف كماله عن التشبيه والإنكار، وسلب جميع النقائص والعيوب منفصلة أو متصلة.

فالأولى: كالشريك والظهير، والشفيع بدون إذنه، والزوج والولد، والكفء والولي.

الثانية: كالموت والإعياء والتعب، والنوم والسِنَة، وغروب شيء عنه، والحاجة إلى رزق أو إطعام أو شيء من خلقه، وترك الخلق سدى بلا بعث ولا معاد، والعبث الذي تنفيه حكمته تعالى.

(والإثبات): هو إثبات أوصاف الكمال، من العلو والعظمة والجلال والجمال، والحياة والإرادة والسمع والبصر، والقدرة والعلم والكلام، والقدم(١) والبقاء، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، الموصوف بالأسماء الحسنى التي هي أوصاف مدح؛ لأنها مشتقة تدل على معاني ما اشتقت منه(٢)، وقد حذر سبحانه من الإلحاد فيها.

---

(١) لم يَرِد وصف الله تعالى أو تسميته: بالقدم والبقاء، فلا يقال: القديم، الباقي؛ لأن لفظ: (القديم) مجمل، فهو يستخدم في اللغة بمعنى: المتقدم على غيره، أو المتقدم في الزمان، وهو خلاف الحديث. ومنه: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].
أما المتكلمون: فيعدونه من الأسماء الحسنى، ويعنون به الذي لم يسبقه شيء.
ويجوز الإخبار عن الله تعالى بالقديم والباقي دون التسمية أو الوصف؛ لأن باب الأخبار أوسع من باب الأسماء والصفات.
انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٤٥)، (٦/ ١٤٢، ١٤٣)، شرح الطحاوية (١/ ٧٧).

(٢) وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظًا لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة =

س٣: كيف يكون الإلحاد في إثبات أسمائه الحسنى؟

ج: بالإشراك فيها، أو إنكار معانيها، أو التحريف فيها، بضرب من التأويل يؤدي إلى التعطيل، فتثبت حقائق الأسماء والأوصاف على ما جاء في القرآن والسُّنَّة ومضى عليه سلف الأمة.

س٤: ما هو قسم التوحيد الفعلي؟

ج: هو عبادته وحده لا شريك له، بأن لا يكون المسلم عبدًا لغيره تعالى، ولا يعبده بغير ما شرعه من الإيمان والإسلام والإحسان، ولا يجعل له ندًا في قصد ولا حب، ولا خوف ولا رجاء، ولا لفظ ولا حلف ولا نذر، بل يرفع الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته، كما أنها معدومة في نفس الأمر لا وجود لها البتة، فلا يجعل لها وجودًا في قلبه ولا لسانه. كما قاله ابن القيم[(١)].

س٥: أطلب زيادة الإيضاح في العبادة حيث كانت مدار التوحيد الفعلي؟

ج: عرف الفقهاء العبادة بقولهم: «ما أمر به شرعًا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي».

= على مدح ولا كمال. انظر: اسم الله الأعظم، للمحقق، ص (٤٥).

(١) الروح، ص (٣٥٨، ٣٥٩)، طبعة: المكتبة العصرية. وذكره الهراس في شرح النونية (٢/ ٥١-٥٣). ولشيخ الإسلام - رحمه الله - كلام نفيس حول هذه المسألة، عند قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ [الأعراف: ٧١]، في رسالة: الاسم والمسمى. انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٥)، وما بعدها.

والمراد بها هنا: معناها اللغوي، وهو خضوع القلب والأركان، وغاية التعظيم القلبي بالحب الخالص وما تولد منه؛ من الرجاء والخوف، والدعاء والخشية، والتوكل والإنابة والتوبة، والنذر والذبح، وغير ذلك، كأنواع العبادات الشرعية التي هي خضوع وتعظيم بهيئة مخصوصة جاءت في الشريعة، ومن ذلك: اعتقاد التأثير لله وحده والنفع والضر، وطلبه منه وحده، خصوصًا فيما خرج عن الأسباب الظاهرة[1].



(١) تقدم التعليق على تعريف العبادة، (ص٤٠).

المطلب الثالث

[في أركان التوحيد، وأقسامه الثلاثة، وكيفية دعوة الرسل إلى التوحيد]

وفيه: أحد عشر سؤالاً:

س١: كم أركان التوحيد؟

ج: اثنان: الإخلاص والصدق.

فالأول: توحيد المراد فلا يزاحمه مراد غيره.

والثاني: توحيد الإرادة ببذل الجهد والطاقة في عبادته(١).

س٢: كم أقسام التوحيد؟

ج: ثلاث: (١) توحيد الربوبية. (٢) توحيد الألوهية. (٣) توحيد

---

(١) وهناك تقسيم آخر لم يُشر إليه المصنف رحمه الله، وقد دلت عليه النصوص القرآنية، وهو:

الأول: توحيد المرسِل: وهو توحيد الله تعالى بأنواع التوحيد الثلاثة، وهو الذي يشير إليه شطر الشهادة الأول: «شهادة أن لا إله إلا الله».

الثاني: توحيد المرسَل: وهو اعتقاد وإفراد الرسول ﷺ بالطاعة والاتباع، والتمكين فيما بلغنا عن الله عز وجل، وهو الذي يشير إليه شطر الشهادة الثاني وهو: «شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ».

وهذان التوحيدان هما مضمون الشهادة كما تقدم، وعن تحقيقهما يسأل الأولون والآخرون، كما قال أبو العالية: «كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ٨٥]، و ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]».

فالسؤال في الآية الأولى: عن تحقيق توحيد المرسِل، ويقابله الشرك. والسؤال في الآية الثانية: عن تحقيق توحيد المرسَل، ويقابله الابتداع.

وركنا التوحيد اثنان: النفي والإثبات؛ نفي ما يُعبد من دون الله، وإثبات العبادة لله وحده.

الأسماء الصفات، كما ذكرها الشيخ السفاريني[١] وغيره.

---

(١) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٨).

وهذا التقسيم باعتبار ما يتعلق بالله عز وجل، والتقسيم الذي ذكره المصنف في جواب السؤال الخامس باعتبار ما يجب على الموحد، وهذا التقسيم صحيح بنوعيه ولا خلاف بينهما، وقد دلت على ذلك الآيات القرآنية.

وهناك من المناوئين لأهل السنة من يقول ببدعية هذا التقسيم، ويجاب عليهم بعدة أوجه، منها:

أ – أن هذا التقسيم اصطلاحي، فلا يدخل في حال التعبد بحال، حتى يقال: إنه بدعة، كتقسيم العلوم الشرعية إلى حديث وفقه وتفسير...

ب – إن هذا التقسيم كان نتيجة استقراء النصوص الواردة في التوحيد، من الكتاب والسُّنَّة، فعلم بالاستقراء والتتبع: أن التوجيد لا يخرج عن هذه الثلاثة الأنواع. والاستقراء دليل معتبر. انظر: أضواء البيان (٣/ ٤١٠) وما بعدها.

ج – إن هذا التقسيم مأثور نحوه عن السلف من الصحابة والتابعين، مثل: ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد، وعطاء وعكرمة وعبد الرحمن بن زيد، وابن جرير الطبري وغيرهم.

انظر: أقوالهم في تفسير الطبري (١٣/ ٧٧)، وكتب التفسير بالمأثور الأخرى، عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

د – قد أشار بعض العلماء المتقدمين إلى هذا التقسيم؛ مثل: ابن منده في القرن الرابع الهجري (٣١٠-٣٩٥هـ) في كتابه: «التوحيد»، والطحاوي في عقيدته المشهورة، حيث بدأها بقوله: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله، إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه...».

فقوله: «أن الله واحد لا شريك له». إشارة إلى توحيد الإلهية. وقوله: «ولاشيء مثله». إشارة إلى توحيد الأسماء والصفات. وقوله: «ولا شيء يعجزه». إشارة إلى توحيد الربوبية.

س٣: ما هو توحيد الربوبية؟

ج: إفراده تعالى باعتقاد أن لا خالق ولا رازق، ولا محيي ولا مميت، ولا موجود ولا معدم، إلا الله تعالى.

س٤: ما هو توحيد الألوهية أو الإلهية؟

ج: إفراده تعالى بالعبادة والتأله والخضوع والذل والحب، والافتقار والتوجه إليه بالدعاء والطلب، ويقال له أيضًا: توحيد العبودية أو العبادة، ويسمى ـ أيضًا ـ التوحيد العملي الإرادي، كما قال ابن القيم(١).

س٥: ما هو توحيد الصفات؟

ج: إفراده تعالى بإثبات ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، بغير تشبيه ولا تأويل، كما سيأتي، ويسمى التوحيد العلمي الخبري، كما قاله ابن القيم.

س٦: ما هو التوحيد الذي جاءت به الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ من هذه الأقسام؟ وهل هي متلازمة أم لا؟

ج: هي في الحقيقة متلازمة غير منفكة، فلا يتم الإيمان إلا بها جميعًا، والذي بعث الله به رسله هو توحيد الألوهية، كما حكى عنه بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٤٩).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٣).

الآية[1]. وغيرها مما يدل على أن المشركين لم ينكروا توحيد الربوبية، وتوحيد الصفات.

س٧: كيف لم ينكر المشركون توحيد الربوبية؟ وهل جاء ذلك في آيات؟

ج: حكى الله عنهم في إثباتهم توحيد الربوبية بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ﴾ الآية[2]، وقوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾[3]. إلى غير ذلك من الآيات مما يتضمن الاحتجاج على منكري الإلهية بإثبات الربوبية والملك.

س٨: كيف لم ينكر المشركون توحيد الصفات؟

ج: خاطبهم الله تعالى بلسانهم بما لم يفهموا منه خلاف ظاهر اللفظ مع التنزيه، وقد كان شعار التوحيد في المناسك التلبية، المتضمنة لإثبات صفات الكمال، التي يستحق عليها الحمد[4]، ولإثبات الأفعال التي استحق بها أن يكون منعمًا، ولإثبات القدرة والمشيئة والإرادة والتصرف، والغضب والرضا والغنى والجود، الذي هو حقيقة ملكه، كما أن أهل الكتاب من العرب وغيرهم، يقرون بذلك ويستبشرون بسماعه؛ لأنه مطابق لما عندهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٦٥).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: (٦١، ٦٣)، وسورة لقمان، الآية: (٢٥)، وسورة الزمر، الآية: (٣٨)، وسورة الزخرف، الآية: (٩).

(٣) سورة يونس، الآية: (٣١).

(٤) ومع ذلك فهم يشركون فيها، فكانت تلبيتهم كما روى ابن عباس رضي الله عنهما: «لبيك لا شريك لك، فيقول رسول الله ﷺ: "ويلكم! قدٍ قدٍ" - أي: اقتصروا عليه ولا تتجاوزا عنه إلى ما بعده - فيقولون: إلا شريكًا لك تملكه وما ملك... يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت». رواه مسلم في الحج، باب: التلبية ح (١١٨٥) (٢/ ٨٤٣).

س٩: كيف كانت دعاية الرسل أممها؟ وإلى أي كلمة تدعوها؟

ج: كل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾(١)، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾(٢)، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾(٣)، ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾(٤)، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾(٥)، ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾(٦)، وقال ﷺ: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله**»(٧).

س١٠: هل كانت دعاية الرسل إلى قول هذه الكلمة مع ملاحظة معناها، أم لا؟

ج: كانت دعايتهم باعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان(٨).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (٥٩)

(٢) سورة هود، الآية: (٢٦)، سورة فصلت، الآية: (١٤)، وسورة الأحقاف، الآية: (٢١).

(٣) سورة نوح، الآية: (٣).

(٤) سورة الأنعام، الآية: (١٤).

(٥) سورة الأنعام، الآية: (١١٤).

(٦) سورة الأنعام، الآية: (١٦٤).

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ مرسلاً، ح (٣٢) (١/ ٢١٤ – ٢١٥)، وأخرجه الترمذي في الدعوات، باب: دعاء يوم عرفة، ح (٣٥٨٥)، وقال: «غريب من هذا الوجه». والبيهقي في الشعب الإيمان، ح (٤٠٧٢) (٣/ ٤٦٢)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب، ح (١٥٣٦)، وتخريج المشكاة، ح (٢٥٩٨) (٢/ ٧٩٧).

(٨) واستكمال شروطها السبعة المجموعة في قول الناظم:

العِلْمُ واليَقِينُ والقَبُولُ ... والإنْقِيَادُ فَادْرِ مَا أَقُولُ

والصِّدقُ والإخْلاَصُ والمَحبَّةُ ... وَفَّقَكَ اللهُ لِمَا أَحَبَّهُ

انظر: أدلة هذه الشروط بتفصيل: معارج القبول، للشيخ/ حافظ حكمي (١/ ٣٠٧) فما بعدها. وانظر: مجموعة التوحيد، الرسالة الأولى، ص (٤٩).

ومعناها: هو إفراد الله بالألهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه، والبراءة منه. فلو قال: لا رب إلا الله، لما أجزأه عند المحققين.

س ١١: هل للإنسان حاجة إلى معرفة حال الجاهلية، وكيفية الدعوة؟

ج: نعم ينبغي البحث عن حالها، والتأمل فيما حكى الله عنها مع رسله، وكيفية جدالهم، كما قص الله علينا ذلك في معظم كتابه، وقد قال الفاروق رضي الله عنه: تنقض عرى الإسلام عروة عروة، قالوا: متى؟ قال: إذا دخل الأمر من لا يعرف الجاهلية. أو كما قال(١).

وقد جاء في السنة التحذير من أشياء كثيرة كانوا يعملونها، وبعضها شرك أكبر، وبعضها أصغر، كما ورد كفر دون كفر.



(١) الأثر المشهور عن عمر قوله: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية). ذكره ابن القيم في الفوائد، ص (٢٠٢).
ولذلك ألف الإمام المصلح الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب، كتابه: «مسائل الجاهلية»، وذكر فيه بعض المسائل المنتشرة في عصره، وفيها مشابهة لأعمال أهل الجاهلية، والتي خالفهم فيها رسول الله ﷺ، وقد زاد فضيلة الشيخ/ عبد الله الدويش على هذه المسائل إحدى عشر ومائتي مسألة، في كتاب سماه: «زوائد مسائل الجاهلية».
وقام فضيلة الشيخ الدكتور/ يوسف السعيد بتحقيق كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشرحه، في رسالة علمية في جامعة الإمام، بمرحلة الماجستير بقسم العقيدة، وقد طبع في مجلدين، عام (١٤١٦هـ). بدار: عالم الفوائد.

المطلب الرابع
[فيما ينافي التوحيد والتحذير من أشياء]

وفيه: خمسة أسئلة:

س١: ما تلك الأشياء التي حذر منها ﷺ، ولأي معنى كان؟

ج: بعضها في القرآن، وبعضها في السنة، والحكمة في التحذير منها: حماية جانب التوحيد. وهي ـ هذه ـ نحو اثنين وعشرين أمرًا[١].

١ - الرقى والتمائم من غير القرآن[٢].

٢ - التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها.

٣ - الذبح لغير الله تعالى.

٤ - النذر لغير الله تعالى.

٥ - الاستعاذة بغير الله تعالى.

٦ - الاستغاثة بغير الله، ودعاء غيره.

---

(١) جميع هذه الأمور هي التي ذكرها الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب، في أبواب كتابه: «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد». مدللاً على كل مسألة بأدلة من الكتاب والسنَّة وأقوال السلف، وقد شُرحت هذه الأبواب، وفُصلت أحكام هذه المسائل، في شروح كتاب التوحيد المختلفة. وبُيِّن فيها ما هو محرَّم قادح في التوحيد، وما هو من قبيل المباحات. ثم إن قوادح التوحيد ليست محصورة في هذه المسائل. فغيرها كثير لم يذكره المؤلف ولا الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى.

(٢) التمائم: جمع تميمة، وهي: ما يعلق على الصغار ونحوهم من العين وشبهها، وإذا كان المعلق من القرآن فقد اختلف الصحابة في جوازه، والجمهور على المنع من ذلك؛ منهم: ابن مسعود رضي الله عنه.
انظر: فتح المجيد (١/ ١٥٣)، تحقيق: أشرف عبد المقصود.

٧- الاستشفاع بالغير، بمعنى طلب الشفاعة من الغير.

٨- الغلو في الصالحين بالإطراء.

٩- عبادة الله عند قبر رجل صالح.

١٠- السحر والكهانة.

١١- النشرة والتطير.

١٢- الاستسقاء بالأنوار.

١٣- محبة غير الله، كمحبته والخوف منه.

١٤- الرياء وإرادة الدنيا بالعمل.

١٥- طاعة العلماء والأمراء في معصية الله، أو تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم.

١٦- اتخاذ الأضداد[١].

١٧- الحلف بغير الله.

١٨- قرن مشيئة الله بمشيئة المخلوق بالتساوي؛ كنحو: ما شاء الله وشاء فلان.

١٩- سب الدهر.

٢٠- التسمي بـ: قاضي القضاة.

٢١- الهزل بشيء فيه ذكر الله.

٢٢- الاستشفاع بالله على خلقه.

(١) كذا في المخطوط والمطبوع، ولعلها: «الأنداد».

س٢: اذكر لنا ما ينافي أقسام التوحيد، كل قسم على حدة؟ فما ضد توحيد الصفات؟

ج: أمران: (١) التعطيل، (٢) التشبيه.

فمن نفي صفاته تعالى وعطلها ناقض تعطيلُه توحيدَه وكذَّبه، ومن شبَّهه بخلقه ناقض تشبيهُهْ توحيدَه وكذّبه.

س٣: فما ضد توحيد الألوهية؟

ج: أمران أيضًا: (١) الإعراض عن محبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه. (٢) الإشراك به في ذلك، واتخاذ أوليائه شفعاء من دونه.

فالشرك: تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، التي تفرد بها سبحانه وتعالى.

وبعبارة أخرى(١): هو اعتقاد أن لغير الله أثرًا فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة، وأن لشيء من الأشياء سلطانًا [خارجًا](٢) عن قدرة المخلوقين.

---

(١) في هامش الأصل: قوله: «وبعبارة أخرى». هي للأستاذ الإمام في رسالة التوحيد ـ يعني: الإمام محمد عبده ـ وأوضحها بقوله: وهو اعتقاد من يعظم سوى الله، مستعينًا به فيما لا يقدرعليه العبد؛ كالاستنصار في الحرب بغير قوة الجيش، والاستشفاء من الأمراض بغير الأدوية التي هدانا الله إليها، والاستعانة على السعادة ـ الأخروية أو الدنيوية ـ بغير الطرق أو السنن التي شرعها الله لنا. هذا هو الشرك الذي كان عليه الوثنيون ومن ماثلهم، فجاءت الشريعة الإسلامية بمحوه، ورد الأمر فيما فوق القدرة البشرية والأسباب الكونية، إلى الله وحده. وتقرير أمرين عظيمين...». ثم أخذ في بيانهما.

(٢) في الأصل: «عن ما خرج».

س٤: فما ضد توحيد الربوبية؟

ج: هو: أن يجعل لغيره معه تدبير، فالربوبية منه سبحانه وتعالى لعباده، والتأله من عباده له تعالى(١).

س٥: في كم نوع تنحصر أصول الشرك؟

ج: في ستة أنواع، كما أفاده بعض المتأخرين:

١- شرك استقلال: وهو إثبات إلهين مستقلين؛ كـ: شرك المجوس.

٢- شرك تبعيض: وهو تركيب إله من آلهة، كـ: شرك النصارى.

٣- شرك تقريب: وهو عبادة غير الله ليقرب إليه زلفى(٢).

٤- شرك تقليد: كـ: شرك متأخري الجاهليين.

٥- شرك أسباب: بإسناد التأثير إلى الأسباب العادية نفسها بدون قدرة الله؛ كما للفلاسفة والطبيعيين، كقولهم: مطرنا بنوء الكوكب.

٦- شرك أغراض: وهو العمل لغير الله، وحكم هذه المعصية فقط(٣)، كما ذكره البعض.



(١) وبعبارة أخرى: فالربوبية هي: توحيد الله تعالى بأفعاله؛ كالخلق والملك والتدبير.
والألوهية هي: توحيد الله تعالى بأفعال المكلفين؛ كالحب والإنابة والاستعانة، والتوكل والسجود... الخ.

(٢) نحو: شرك أكثر العرب قبل الإسلام، ومعظم شرك القبوريين الآن.

(٣) مثل: الرياء وشرك النفاق. وهذا من الشرك الخفي، وقد يكون شركًا أكبر، وقد يكون شركًا أصغر، بحسب اختلاف الصور.

المطلب الخامس
[في توحيد الصفات وأقسامها]

وفيه: أحد عشر سؤالاً:

س١: لم تبين لنا توحيد الصفات كما ينبغي، وقد أفرده الجمهور بالتأليف، وسموه: «علم الكلام»(١)، و«فن التوحيد والعقائد»؟

ج: يجمع الكلام عليه قولنا: يوصف الله بجميع صفات الكمال، كما

---

(١) هذا على اصطلاح المتكلمين أنفسهم.
أما عند أهل السنة والجماعة، فتوحيد الأسماء والصفات: علم شرعي صرف، قائم على نصوص الوحيين فقط، ولذلك قال المصنف في جواب السؤال: «ولا يجوز وصفه إلا بما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، فهو توفيقي».
ويعرف العلماء علم الكلام بأنه: «علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية، بالأدلة العقلية».
قال ابن خلدون في المقدمة ص (٨٢١)، في تعريفه: «هو: علم العقائد القائم على الأدلة العقلية».
ويعرفه التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون بأنه: «علم يقتدر منه على إثبات العقائد الدينية على الغير، بإيراد الحجج ودفع الشبه».
ولابد من تقييد تعريف التهانوي بزيادة: «بالأدلة العقلية»، وإلا إختلط بالعلوم الشرعية:
والفرق بينه وبين علم المنطق، أن: الأخير أعم، فلا يختص بالعقائد فقط؛ لأنه كما يعرفه أصحابه: «العلم بقوانين تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر».
انظر: نقض المنطق ص (١٧٥)، ومقدمة ابن خلدون ص (٩٠٨).
وأهم مصادر علم الكلام، هو: الفلسفة اليونانية. انظر: شرح العقائد النسفية، ص (٨).
وعليه، فهو: علم غير شرعي مبتدع، جَرَّ على العقيدة الإسلامية من المصائب ما لا يخفى، ذمه السلف وحذورا منه، ومن أوسع من جمع أقوالهم في ذلك: الهروي، في: ذم الكلام وأهله، في خمسة مجلدات، حققه الشيخ/ عبد الرحمن الشبل.

وصف نفسه بمعاني أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، كما وصفه به رسوله [وأنبياؤه][(١)] من قبله.

ولا يجوز وصفه إلا بما دل عليه الكتاب والسنة، أو أُجمع عليه.

س٢: إلى كم قسم تنقسم صفاته تعالى؟

ج: إلى قسمين: صفات الذات، وصفات الأفعال.

س٣: ما بيان القسم الأول؟

ج: صفات الذات: مما استحقه تعالى في الأزل وفيما لا يزال[(٢)]، فمنها: ما ثبت بنص الكتاب والسنة؛ كالوجه واليد والعين.

ومنها: ما ثبت كذلك واقترنت به دلالة العقل من استحالة أضداده، وهي: الحياة والقدرة والعلم والإرادة، والسمع والبصر والكلام[(٣)]. ويسميها المتأخرون: بالصفات الثبوتية، وصفات المعاني، والصفات العقلية، ويسمون ما سواها: بالصفات الخبرية.

س٤: فما بيان القسم الثاني؟

ج: صفات الأفعال: مما استحق تعالى فيما لا يزال دون الأزل[(٤)]،

---

(١) في الأصل: «وأنبيائه».

(٢) ويضاف لها ضابط آخر؛ وهو: هي التي لا تنفك عن الذات. انظر: شرح الطحاوية، ص(١٢٧).

(٣) وغيرها من الصفات؛ كالحكمة والعلو، وهذه السبع هي التي يثبتها الأشاعرة المتأخرون.

(٤) في هامش الأصل: قوله: «دون الأزل». أي: «باعتبار التعلق، حتى يتضح الفرق بين القسمين، وإلا فنفس الصفة قديمة، فلا ينافي ما سيأتي في صفة التكوين». اهـ كاتبه.

وهذا التعليق فيه نظر، وهو تقرير لمذهب الماتريدية؛ وذلك لأن ضابط الصفة الفعلية، =

والاستواء والنزول والمجيء، وكالخلق والرزق والإحياء والإماتة، والعفو والعقوبة.

والماتريدية[١]، تسمي كلما دل على إخراج المعدوم من العدم: بصفة التكوين، وهو المعنى المعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق، والإيجاد والإحداث والاختراع، ونحو ذلك.

= هو: انفكاكها عن الذات في بعض الأوقات، وتعلقها بالمشيئة والقدرة. والماتريدية يقولون: إن الأفعال قديمة، ولا تعلق لها بالمشيئة والقدرة، والمتجدد إنما هو متعلقاتها، ويحيلون جميع صفات الأفعال إلى صفة التكوين عندهم، وهي قديمة.

أما أهل السنة والجماعة، فيقولون: إن نوع صفة الفعل قديم، أما آحاده فمتجددة حادثة؛ لتعلقها بالمشيئة والقدرة.

والمصنف مع أنه يقرر هذا، إلا أنه لا يلتزم بلوازم مذهب الماتريدية، فيثبت صفات الأفعال، ويرى أن آحادها متجددة؛ لتعلقها بالمشيئة، خلافًا لقول الماتريدية، وموافقة لمذهب السلف رحمهم الله جميعًا. انظر: تعليقات المحقق على رسالة المصنف: تحرير الكلام. وانظر رسالة: أبو بكر خوقير وجهوده في نشر عقيدة السلف، (١/ ٢١٥)، قسم العقيدة بجامعة أم القرى، من الباحث الدكتور/ بدر الدين ناضرين.

(١) في هامش الأصل: قوله: «الماتريدية». نسبة إلى الإمام/ أبي منصور الماتريدي، وهم الحنفية، وهم أقرب إلى السلف، ويقابلهم الأشاعرة أتباع الإمام/ أبي الحسن الأشعري من الشافعية والمالكية. وأما الحنابلة فعلى طريق السلف، والمقدم فيهم الإمام/ أحمد ابن حنبل؛ لأنه أكبر قائم امتحن فيها رحمه الله ورضي عنه.

وفي قوله: «إن الماتريدية أقرب إلى السلف» نظر؛ فالحق أن أقرب طوائف المتكلمين إلى السلف، هم: الأشاعرة. كما قرر ذلك شيخ الإسلام وغيره من المحققين. انظر: الرسالة المدنية لابن تيمية، ص (٣٦-٣٩). وكذلك ليس كل الحنفية ماتريدية، ولا كل الشافعية والمالكية أشاعرة. كما أنه ليس كل الحنابلة على منهج السلف. وإنما هذا من باب التغليب.

وسيأتي الكلام عليها في المطلب السابع، وفي مطلب الإيمان بالقدر من الباب الثاني.

س٥: هل إثبات هذه الصفات له تعالى على ظاهرها أو بشيء من التأويل؟

ج: إن طريقة السلف اثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات، مع نفي مشابهة المخلوقات، إثباتًا بلا تكييف ولا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]. فسمعه ليس كسمعنا، وبصره ليس كبصرنا، وكذا غيرهما.

س٦: ماذا تقول في اشتراك الألفاظ المستعملة في حقه تعالى، وفي حق غيره من المخلوقات، وكيف يكون التنزيه؟

ج: الاشتراك في الألفاظ لا يقتضى الاشتراك في المعاني[2]، والصفة تابعة للموصوف، فإذا كانت الذات مجهولة الكيف، ولا تشبه الذوات، فالصفة كذلك، والفرق بين الحادث والقديم معلوم بالضرورة.

س٧: ماذا يجب تعينه من الصفات له تعالى وتعداده؟

ج: لا يجب حصر جميع الصفات، وجمع المتفرق منها مما ورد في الكتاب والسنة، وقد قال ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين**[3] **اسمًا ــ مائة إلا**

(١) سورة الشورى، الآية: (١١).

(٢) لو قال: «في الحقائق والماهيات». لكانت - في نظري - أدق؛ لأن المعاني قد تكون مشتركة، أما الحقائق فمختلفة.

(٣) في الأصل: «تسعون».

واحدًا ـ من أحصاها[١] **دخل الجنة»** كما رواه الشيخان وأهل السنن[٢].

س٨: هل يثبت الخلف عددًا معينًا من الصفات له تعالى، وهل يثبتها السلف؟

ج: يثبت الخلف خمسة عشر صفة[٣] له تعالى فقط.

---

(١) في هامش الأصل: قوله: «من أحصاها»الراجح في معنى الإحصاء: الحفظ دون مجرد العدّ، والذي عول عليه جماعة من الحفاظ، أن سرد الأسماء مدرج في هذا الحديث. اهـ

قلت: وردت عدة معاني في معنى الإحصاء؛ منها: العد، والإطاقة، والعقل والمعرفة.

وذهب ابن القيم إلى أن مراتب الإحصاء ثلاثة:

الأولى: إحصاء ألفاظها وعدها.

الثاني: فهم معانيها ومدلولها.

الثالثة: دعاؤه بها.

انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٨٥). وانظر: زيادة تفصيل ودراسة كتاب: اسم الله الأعظم، ص (٥٦- ٦١) للمحقق.

وقوله: «والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء مدرج في هذا الحديث». اهـ.

قلت: هذا نص كلام الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/ ٥١٦)، ونص على الإدراج وعلل أخرى من الاختلاف والاضطراب والتدليس، مجموعة من العلماء.

انظر: تفصيل ذلك في: اسم الله الأعظم، ص (٦٣).

ويعني بالحديث الذي يعدد التسعة والتسعين اسمًا، ما عند الترمذي وغيره. فهذا ليس من كلام النبي ﷺ، بل من اجتهادات العلماء في تحديد هذه الأسماء. والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري في الشروط، باب: ما يجوز في الاشتراط، ح(٢٧٣٦) (الفتح ٥/ ٤١٧)، وفي الدعوات ح (٦٤١٠)، وفي التوحيد (٧٣٩٢). ومسلم في الذكر والدعاء، باب: في أسماء الله وفضل من أحصاها، ح(٢٦٧٧) (٤/ ٢٠٦٢). من حديث: أبي هريرة.

(٣) في هامش الأصل: قوله: «خمسة عشر»، الذي في السنوسية: عشرون صفة؛ صفات المعاني السبعة، والصفات السلبية الخمسة، والصفة النفسية، والصفات المعنوية =

صفات المعاني(١) السبعة المتقدمة؛ وهي: ١ـ الحياة، ٢ـ القدرة، ٣ـ الإرادة، ٤ـ العلم، ٥ـ الكلام، ٦ـ السمع، ٧ ـ البصر.

والصفات السلبية(٢) الخمسة، أي: التي معناها سلب؛ وهي: ١ـ القدم، ٢ـ البقاء، ٣ ـ المخالفة والحوادث(٣)، ٤ ـ القيام بالنفس(٤)، ٥ ـ الوحدانية.

والصفة النفسية(٥)؛ وهي: الوجود.

وعند الماتريدية صفتان: ١ـ التكوين، ٢ ـ الحكمة(٦)، بمعنى اتقان العمل ووضع كل شيء في محله اللائق به، والسلف يثبتون هذه الصفات كغيرها(٧).

= السبعة، أي: المنسوبة إلى صفات المعاني لكونها لازمة لها، وهي كونه قادرًا ومريدًا وعالمًا وحيًا وسميعًا وبصيرًا ومتكلمًا، فهي تابعة لصفات المعاني، فلهذا لم يعدها بعضهم، كما جرى عليه المؤلف.

(١) صفات المعاني، هي: ما دل على معنى وجودي قائم بالذات.

(٢) الصفات السلبية، هي: ما دل على سلب ما لا يليق بالله عن الله، من غير أن يدل على معنى وجودي قائم بالذات. ومعلوم أن منهج السلف: أن النفي لإثبات كمال الضد.

(٣) في هامش الأصل: قوله «المخالفة للحوادث». أي: عدم مشابهته لشيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فلا توصف ذاته بالجوهر ولا بالعرض، وغير ذلك من أوصاف المحدثات، ولا تشبه شيئًا منها، وكذا صفاته المحدثات وأفعاله.

(٤) في هامش الأصل: قوله: «والقيام بالنفس». أي: عدم احتياجه إلى شيء من الأشياء، وكل شيء محتاج إليه تعالى.

(٥) هي: كل صفة إثبات لنفس لازمة ما بقيت النفس، غير معللة بعلل قائمة بالموصوف. انظر هذا التعريف وما قبله: الصفات الألوهية، تعريفها، أقسامها. للدكتور: محمد بن خليفة التميمي، ص (٨٠- ٨١).

(٦) في هامش الأصل: قوله: «الحكمة». أي: كما عددها شيخ زاده، في: نظم الفرائد.

(٧) السلف يثبتون معاني هذه الصفات، ولكن بألفاظها الشرعية.

س٩: فماذا يقول الخلف في غيرها، ولما خصوها بالإثبات؟

ج: يقولون: بتأويل غيرها، ولا يجرونه على ظاهره؛ لاستعماله في الحادث، وإنما خصوا تلك الصفات المحصورة، لثبوتها بالعقل لاستحالة أضدادها، ووجوب اتصافه بالكمال المطلق.

س١٠: لم يظهر لنا وجه الفرق بين تلك الصفات المحصورة وغيرها على مذهب الخلف؟

ج: هو غير ظاهر، والسلف أعلم وأقرب عهدًا، والظاهر عدم الفرق فيما ثبت من الكتاب والسنة من الصفات، في إجرائه على ظاهره، مع التنزيه الذي تقدم بيانه؛ وهو سبحانه متصف بجميع أنواع الكمال عقلاً، ولا تجوز التفرقة بين المتماثلين عقلاً ولا نقلاً، كما يقول الخلف بإثبات البعض وتأويل البعض، مع أن ظواهر الجميع في حق المخلوقين جوهر محدث، وإما عرض قائم بغيره؛ كالسمع والبصر والعلم والإرادة، وقد نزه الله نفسه بنفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١).

س١١: ما بال السلف يطيلون الكلام على بعض الصفات؛ مثل: الاستواء؟

ج: لكثرة ما جاء فيه من الكتاب والسنة، فقد ذكر في سبع مواضع من القرآن، وأفتى فيه السلف(٢) جميعهم، بقولهم: الاستواء معلوم،

(١) سورة الشورى، الآية: (١١).

(٢) قال الشيخ عبد الله الدهلوي معلقًا: قوله: «أفتى فيه السلف». ومن أوله بالاستيلاء يلزمه القول بأن استيلاءه ليس كاستيلائنا، فخير له أن يقول: استوى لا كاستوائنا.

والكيف مجهول[١]. فكان كالقاعدة في باب الصفات، وقال الإمام أحمد: «استوى كما أخبر، لا كما يخطر للبشر»[٢].



(١) كما ورد ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها، عند اللالكائي (٣/ ٣٩٧). وعن الإمام مالك في الرد على الجهمية للدارمي، ص (٢٨٠) ضمن عقائد السلف. ورواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، (٣/ ٣٩٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٢٥-٣٢٦). وينظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥)، والعلو للذهبي، ص(٦٥).

(٢) انظر: الفواكه الدواني شرح رسالة أبي زيد القيرواني، للنفراوي الأزهري(١/ ٦٠)، طبعة: المكتبة الثقافية ببيروت.

وينظر أقوال الإمام أحمد في: الاستواء (١/ ٣٤٢)، من كتاب: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة».

المطلب السادس
[في التأويل وما يتعلق به]

وفيه: سبعة أسئلة:

س١: هل جميع الخلف يؤوِّلون الصفات الخبرية؟

ج: كثير من الخلف يميل إلى عدم التأويل، ومنهم الماتريدية(١). فهذا صاحب بدء الأمالي(٢) يقول:

ورب العرشِ فوق العرش لكن بلا وصف التمكن واتصال(٣)

س٢: ما وجه ترجيح عدم التأويل؟

ج: هو: أن النفوس تأنس بالإثبات، وقد بالغت(٤) فيه الأنبياء؛ ليقروا

---

(١) الماتريدية كغيرهم من المتكلمين مؤولة لأكثر الصفات، وفيهم مفوضة كما في الأشاعرة. وقد يكون التفويض أشر من التأويل. نسأل الله السلامة. ونعني بالتفويض هنا تفويض المعاني. أما تفويض الكيفيات فهذا مما أجمع عليه السلف رحمهم الله تعالى.
ولا يمنع هذا من وجود بعض الأفراد المثبتة. والوقوف على كتب القوم؛ كالتفتازاني وغيره، يرى ذلك جليًا.
وانظر: «الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات»(٢/ ٢٥٩ – ٢٨٢).

(٢) هو: سراج الدين، على بن عثمان الفرغاني الحنفي، مفتى مدينة فرغان بتركستان. توفي بعد (٥٦٩هـ). انظر: الأعلام (٤/ ٣١٠)، ومعجم المؤلفين (٧/ ١٤٨).
وشرح بدء الأمالي، الشيخ إبراهيم اللكتاني الأشعري، صاحب: «تحفة المريد في شرح جوهرة المريد، على مذهب الأشاعرة».

(٣) السلف لا ينفون ولا يثبتون هذه العبارات وأمثالها، التي لم يرد فيها شيء من الشارع، لا بالنفي ولا بالإثبات.

(٤) بمعنى: أكثرت.

في أنفس العوام وجود الخالق، ومن أضرّ الأشياء عليهم كلام المتأولين، ولو لم يكن في ترجيح الإثبات على التأويل، إلا أن صاحب التأويل ليس جازمًا بتأويله، بخلاف الإثبات لكفى ذلك.

س٣: هل يلزم من إثبات بعض الصفات بعض اللوازم الفاسدة، كما يلزم من إثبات صفة الاستواء كونه تعالى بجهة العلو؛ لأن العرش فوق سبع سمواته، والجهة والمكان من صفات المحدثات التي ينزه الله عنها؟

ج: لا يلزم شيء من الإثبات مع التنزيه، ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، ومن فهم من صفات الرب ـ الذي ليس كمثله شيء ـ ما يناسب صفات المخلوق، فقد غوى.

وما فوق العرش خارج عن العالم لا يوصف بمكان ولا جهة، إلا بالنسبة إلينا، فهو تعالى فوق الكون باعتبار الكون لا باعتبار وحدانيته، إذ لا فوق فيها ولا تحت، وقد فطر الله القلوب على طلبه من جهة العلو، فلم يقل قائل: يا الله. إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو، لا يتلفت يمنة ولا يسرة، ولا يمكن إزالة تلك الضرورة عنه[1].

---

(١) إشارة إلى قصة أبي جعفر الهمداني مع أبى المعالى الجويني، لما سمعه وقد سئل عن قوله عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فقال أبو المعالى: «كان الله ولا عرش». وجعل يتخبط في الكلام، فقلت: قد علمنا ما أشرت إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة؟ فقال: «ما تريد بهذا القول؟ وما تعنى بهذه الإشارة؟» فقلت: ما قال عارف قط: يا رباه، إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة، يقصد الفوق. فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة؟ فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت، وبكيت وبكى الخلق، فضرب الأستاذ بكمه على السرير وصاح: «الحيرة!»وخرق ما كان عليه. وصارت قيامة في المسجد، ونزل ولم يجبني إلا: =

س٤: ماذا تقول في المعية التي جاءت في القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[2]. وغيرها؟

ج: اتفق الأئمة من الصحابة والتابعين، والأئمة الأربعة وسائر أئمة الدِّين، على أن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ الآية. ليس معناه: أنه مختلط بالمخلوقات وحالٌّ فيها، ولا أنه بذاته في كل مكان، بل هو سبحانه وتعالى مع كل شيء بعلمه وقدرته، ونحو ذلك، وهو مستو على عرشه، بائن من خلقه. على أن معيته على نوعين: خاصة وعامة، فالخاصة: بالنصر والرحمة وما أشبه ذلك[3].

س٥: كيف ينسب للحنابلة القول: بأن صفة الكلام بحرف وصوت، وهو منزه عن مشابهة المخلوقات؟

ج: الحنابلة سائرون على طريقة السلف، وإمامهم شيخ هذه الطريقة، وهم متفقون على أن كلامه تعالى: قديم غير مخلوق، وأنه بحرف وصوت

= «ياحبيبي... الحيرة الحيرة!! والدهشة!». فسمعت بعد ذلك أصحابه، يقولون: سمعناه يقول: «حيرني الهمداني».
هذه القصة أسندها الحافظ الذهبي في كتاب: «العلو». قال الألباني: «إسناد هذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ». مختصر العلو ص (٢٧٦). والسير (١٨/ ٤٧٤ – ٤٧٥).
وذكرها شيخ الإسلام في: «نقض المنطق»(ص٥٢)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٤٤، ٦١).
وقال: «وإن كان ـ يعنى الجويني ـ في آخر عمره رجع عن هذه العقيدة، ومات على دين أمه وعجائز نيسابور».

(١) سورة التوبة، الآية: (٤٠).
(٢) سورة الحديد، الآية: (٤).
(٣) والعامة: بالعلم والسمع والبصر، ونحو ذلك.

قديمين[(١)]، بلا كيف، كما جاء في ذلك أحاديث كثيرة، تنيف على أربعين

(١) ما قرره المصنف ـ رحمه الله ـ هنا ليس هو مذهب السلف، وإنما هو كلام السالمية وبعض متأخري الحنابلة، الذين حاولوا الجمع بين قول السلف وقول المعتزلة، وقول ابن كلاب ومن وافقه من الأشاعرة.

فالمعتزلة قالوا: «كلام الله مخلوق، وخلقه الله في غيره، وهو حروف وأصوات مخلوقة».

وقال الكلابية والأشعرية: «إن كلام الله قديم ليس بحروف ولا أصوات، وإنما هو الكلام النفسي، والقرآن الكريم إنما هو عبارة أو حكاية عن ذلك المعنى النفسي، وليس هو كلام الله على الحقيقة».

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٢/ ٣١٩، ٣٢٠): «وحدثت طائفة أخرى من السالمية وغيرهم، ممن هو من أهل الكلام والفقه والحديث والتصوف، ومنهم كثير ممن ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وكثر هذا في بعض المتأخرين المنتسبين إلى أحمد بن حنبل فقالوا بقول المعتزلة، وبقول الكلابية، وافقوا هؤلاء في قولهم: إنه قديم، ووافقوا أولئك في قولهم: إنه حروف وأصوات».

وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٠)، والصفدية (٢/ ٥٨). وقد وجد من الحنابلة من يقول: «بأن كلام الله قديم، وأنه بحروف وأصوات»، ومنهم: ابن قدامه في: لمعة الاعتقاد، ص (١٥)، المطبعة السلفية. ومنهم: السفاريني، في: لوامع الأنوار البهية، ص (١٣٧، ١٤٣).

وقد تعقبه على ذلك الشيخ/ عبد الله بابطين، والشيخ/ ابن سحمان، كما هو مبين في حاشية الكتاب، ص (١٣٠). وكذلك الشيخ/ عبد الباقي البعلي الحنبلي، في كتابه: العين والأثر في عقائد أهل الأثر، ص (٣٢، ٩٠، ١٠٤، ١٠٦).

والشيخ أبو بكر خوقير ـ رحمه الله ـ اعتمد كثيرًا في النقل على هذين الأخيرين، فدخل عليه هذا الخطأ من هاهنا، مع أنه لم يلتزم في بقية المواضع لوازم هذا القول؛ فقد صرح بأن كلام الله تعالى تابع المشيئة، فلم يزل متكلمًا بما شاء كما شاء سبحانه.

ولعل سبب هذا الخطأ، هو ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله، في مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٢١)، بقوله: «ومن الناس من يطلق لفظ: القديم ولا يتصور معناه، ومنهم: من =

حديثًا، وكما جاء ذكر النداء في القرآن في ثماني آيات منسوبًا إليه تعالى، وهو في اللغة: الصوت.

وتلك الحروف القديمة لا تحتاج إلى مخارج وأدوات، كما هي في حقنا، فهو كلام بلا كيف، ولم يزل ولا يزال متكلمًا كيف شاء، وإذا شاء يأمر بما يشاء ويحكم.

س٦: هل المكتوب في المصحف عين كلام الله، وكذا المحفوظ والمسموع؟

ج: قال الحافظ ابن حجر: «والذي استقر عليه قول الأشعري: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروء

= يقول يعنى القديم أنه بدأ من الله، وأنه غير مخلوق، وهذا المعنى الصحيح، لكن الذين نازعوا هل هو قديم أو ليس بقديم، لم يعنوا هذا المعنى».

وأما **أهل السنة والجماعة السلف الصالح**، فهم يثبتون صفة الكلام لله تعالى كسائر صفاته تعالى، وأن الله يتكلم إذا شاء متى شاء كيف شاء، وأنه يتكلم بحرف وصوت يسمع، وأن القرآن المنزل هو كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

وانظر تقرير المصنف لمذهب السلف، في رسالته: تحرير الكلام في صفة الكلام.

وصفة الكلام عندهم صفة ذاتية فعلية، فنوع الصفة قديم، أما أفرادها وآحادها فهي حادثة متجددة، متعلقة بمشيئة الله تعالى.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٠١): «كما لم يقل أحد من السلف إنه مخلوق، فلم يقل أحد منهم: إنه قديم، ولم يقل واحدٌ من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا من بعدهم من الأئمة الأربعة، ولا غيرهم».

انظر تفصيل هذه المسألة، في رسالة المصنف: تحرير الكلام، وتعليقات المحقق عليها. وانظر: رسالة الشيخ/ أبو بكر خوقير، وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف، للأستاذ/ بدر الدين ناضرين، (١/ ٢٠٧)، فما بعدها.

بالألسنة[١]. قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[٢]، وفي الحديث: «**لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو؛ كراهة أن يناله العدو**»[٣]. وليس المراد ما في الصدر، بل ما في المصحف. وأجمع السلف على أن الذي بين الدفتين كلام الله»[٤] انتهى.

س٧: ماذا تقول في مسألة اللفظ؟

ج: قد اشتد إنكار الإمام أحمد على من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق»[٥]. لما ابتلي بالدخول في الرد على المبتدعة؛ لحسم هذه البدعة الحادثة، وسد بابها، وما يجر إلى القول بخلق القرآن.

وقد اقتصر السلف على قولهم: كلام الله غير مخلوق، وعلينا الإقتداء وعدم الخوض فيما لا طائل تحته، والوقوف عند ما ورد بلا زيادة ولا نقص.

---

(١) ومع ذلك فأكثر الأشاعرة يخالفون إمامهم أبا الحسن في هذه المسألة الخطيرة، ويزعمون: أن ما في المصاحف إنما هو عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله على الحقيقة؛ لأن كلام الله في زعمهم ليس بحرف ولا صوت ولا هو مسموع.
انظر تفصيل هذه المسألة، في: كتاب: العقيدة السلفية في كلام رب البرية، لفضيلة الشيخ/ يوسف الجديع.

(٢) سورة التوبة، الآية: (٦).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في الجهاد، باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو ح (٢٩٩٠) (فتح ٦/ ١٣٣)، ومسلم في الإمارة، باب: النهي عن أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار (١٨٦٩) (٣/ ١٤٩٠).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٤٩٣) بنحوه.

(٥) ينظر: باب: «ذكر اللفظية من زعم أن هذا القرآن حكاية للقرآن الذي في اللوح المحفوظ، كذبوا». من كتاب: الشريعة للإمام الآجري، (١/ ٥٣٢). وما فيه من نصوص للإمام أحمد وغيره في هذه المسألة. وانظر: تعليق المحقق عليها.

المطلب السابع
[في صفات الأفعال]

وفيه: ستة أسئلة:

س١: هل جميع الصفات قديمة، حتى صفة التكوين[(١)]؟

ج: نعم صفات الذات قديمة، ومثلها صفات الأفعال عند السلف والماتريدية[(٢)]، فأفعاله سبحانه وتعالى لا تشبه أفعال شيء من خلقه؛ لأنه سبحانه يفعل الأشياء بلا واسطة وآلة، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[(٣)]. ولا يفعل سبحانه شيئًا عبثًا، ولا لاحتياجه إليه، بل هو الحكيم الذي يضع كل شيء في محله، يفعل ما يشاء باختياره وحكمته، ولا يزال فاعلا كما أنه لم يزل فعالاً.

---

(١) التكوين: من الصفات التي اختص بإثباتها الماتريدية، إضافة إلى السبع صفات التي يثبتها الأشاعرة؛ وهو مبدأ الإخراج من العدم إلى الوجود، وصفات الأفعال عندهم راجعة إليه، وهي في حقيقة زعمهم من متعلقات صفة التكوين، وليست صفات حقيقة، وهذا ما يخالف فيه الماتريدية أهل السنة والجماعة.
انظر: التوحيد للماتريدية (٤٧ - ٤٩)، شرح العقائد النسفية، ص (٥٣، ٦٣، ٦٩).
وينظر: الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، (١/ ٤١٨).

(٢) الماتريدية يقولون: بأفعال قديمة؛ لأنهم يرجعونها إلى صفة التكوين القديمة، ولا تعلق لها بالمشيئة في زعمهم، والمتجدد إنما هو متعلقاتها. وهذا خلاف مذهب السلف الذين يثبتون الصفات الفعلية على الحقيقة، وأنها متعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته، وأن آحادها متجددة وحادثة بعد أن لم تكن، أما نوعها فقديم.

(٣) سورة يس، آية: (٨٢).

س٢: هل يلزم على ذلك القول بحوادث لا أول لها، كما شنع به الأشاعرة، فجعلوا هذه الصفات الفعلية حادثة؟

ج: إن لزم القول: بحوادث لا مبدأ لأولها، فذاك بحكم الضرورة في التبعية، وإلا لزم تعطيل الصفات واستغناء الحوادث عن الموجد، وهو محال، فالتكوين موجودًا أزلاً وأبدًا، والمكون حادث بحدوث التعلق؛ كما في العلم والقدرة، وغيرها من الصفات القديمة، التي لم يلزم من قدمها قدم متعلقاتها، لكونها تعلقاتها حادثة، فلا يضر القول بحوادث لا أول لها، تبعًا لصفات الأفعال والأقوال، ولا يلزم من ذلك القول بحدوثها[١].

س٣: هل يجب على الله فعل الصلاح والأصلح[٢]؟

ج: لا يجب عليه فعل شيء مطلقًا[٣]، وأفعاله صادرة عن علمه وإرادته،

---

(١) انظر: تفصيل ذلك والاستشهاد عليه من كلام شيخ الإسلام؛ رسالة المصنف رحمه الله: «تحرير الكلام في صفة الكلام».
وانظر: كلام شيخ الإسلام في هذه المسألة، في: مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٩٢ – ٥٩٣)، وشرح حديث النزول، ص (١٢٥). وانظر: الرد على دعوى التسلسل، مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٩ – ٥٣٤) و(١٦/ ٣٨٠ – ٣٩١).

(٢) هذا من قول المعتزلة ومن تابعهم من الشيعة، فيوجبون على الله تعالى فعل الصلاح والأصلح للعبد، تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا؛ بناء على قياسهم الخالق ـ تعالى ـ على المخلوق، ويشبهون أفعاله تعالى بأفعال المخلوقين، فهم مشبهة الأفعال، وقد لزمهم من هذا القول عدة لوازم، أوصلها ابن القيم إلى ثمانية عشر إلزامًا، توضح مدى مخالفة قولهم هذا للشرع والعقل.
انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٥٢ – ٥٥).

(٣) أي: ليس للخلق أن يوجبوا على الله تعالى شيئًا مطلقًا، لكن الله تعالى ـ لكماله المطلق ـ =

وذلك لازم لاختياره، فهو الفاعل المختار سبحانه يفعل ما يشاء ويختار.

س٤: هل تخلو أفعاله من الحكمة؟

ج: نعتقد أن أفعاله لا تخلو من الحكمة، وأن حكمته في فعله خاصة به، لاتشبه ما للمخلوقين من الحكمة. كما لا مشابهة له في ذاته وصفاته، فبطل القول: بالصلاح والأصلح المزعومين بالنسبة لعقول البشر.

س٥: هل للإنسان الخوض في حكمة أفعاله وأسرار قدره؟

ج: ليس له ذلك شرعًا، فقد علمت أن حكمته في أفعاله خاصة به، وقد ورد النهي[1] عن الخوض في القدر، ومنه ما لا يصل إليه العقل، من خرق عادة، أو إيجاد شيء بلا سبب طبيعي، كما تواتر النقل به، وأخبر به تعالى في القرآن على أنه قد ظهرت حكمة أشياء كثيرة.

= قد يوجب على نفسه، ويحرم على نفسه سبحانه؛ تكرمًا وتمننيًا، وهذا ما نطق به الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. وقال تعالى في الحديث القدسي: «**ياعبادي، إني حرمت الظلم على نفسي**» رواه مسلم في كتاب: البر والصلة، ح (٢٥٧٧) (٤/ ١٩٩٤). وانظر: منهاج السنة (١/ ٤٥٢).

(١) في هامش الأصل: قوله: «وقد ورد النهي عن الخوض في القدر». معناه: التحذير من مجارات المبتدعة في القدر، والمراد: بغير علم على وجه يؤدى إلى إثارة الشر والشك، بخلاف الخوض فيه على وجه التعلم والتعرف لما جاءت به الشريعة، ثم الإيمان به بعد معرفته على الوجه المشروع، كما قال صاحب: «إيثار الحق».
قلت: انظر: ص (٢٨١)، ط (١٤٠٣) عن دار الكتاب العلمية، بيروت، وهو: أبو عبد الله، محمد بن المرتضى ابن الوزير اليماني، المتوفى سنة: (٨٤٠هـ).

س٦: فما تقول في قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[١]. فظاهر يقتضي عدم تغيير المعتاد من مجارى الطبيعة؟

ج: المراد من سنة الله هنا: نصره لأنبيائه على من كذبهم وعاداهم، كما يدل عليه صدر الآية: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٢]، فهي السنة التي لا تتبدل.

وقد صرح سبحانه بتغيير المعتاد من مجارى الطبيعة وتبديلها، وتحويلها متى شاء.

س٧: هل تأتي الأنبياء بما لا تدركه العقول؟

ج: تأتي الأنبياء بما تدركه العقول أو تتحير فيه، ولا تأتي بما تحيله العقول أبدًا، فتأتي بمحارات العقول لا بمحالات العقول، كما قال السفاريني[٣] وغيره.



(١) سورة طه، الآية: (٤٣).

(٢) سورة فاطر، الآية: (٤٣).

(٣) نقلاً عن شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢/ ٣١٢).

الباب الثاني: [في معرفة الدِّيـــن]

وفيه: سبعة مطالب:

المطلب الأول
في أركان الإسلام، وهو الركن الأول من أركان الدِّين

وفيه: ستة عشر سؤالاً:

س١: ما معنى الدِّين؟

ج: هو: ما شرعه الله من الأحكام.

س٢: كيف تكون معرفة الإنسان لدينه؟

ج: بمعرفة أركانه الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان.

س٣: ما هو الإسلام؟

ج: هـو: الاستسلام لله بالتوحيـد، والانقيـاد لـه بالطاعـة في الأحكـام الشرعية(١).

س٤: ما أركان الإسلام التي يقوم عليها؟

ج: خمسة؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام مع الاستطاعة. فمـن أنكـر ذلك أو بعضه لم يكن مسلمًا.

---

(١) زاد الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب، في الأصل الثاني من الأصول الثلاثة: «والبراءة من الشرك وأهله». بدل الأحكام الشرعية، وهذا من باب التأكيد، وإلا فهي من لـوازم تحقيـق التوحيد، فلا يكون موحدًا إلا إذا تبرأ من الشرك وأهله. والله أعلم.

س٥: ما معنى الشهادة المذكورة؟

ج: الاعتراف بأن لا معبود حق إلا الله وحده، وبرسالة نبيه ﷺ محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب، وطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر[١].

س٦: ما علاقة صدق هذا الاعتراف بتلك الشهادة؟

ج: أن لا يعمل صاحبه ما يخالفه قولاً أو فعلاً أو اعتقادًا، وإلا فاعترافه كذب. كما بينه الفقهاء في باب: الردة.

س٧: ما معنى إقام الصلاة؟

ج: المداومة عليها في أوقاتها الخمسة[٢] كما ينبغي، كما قام بها النبي ﷺ ومن معه، ثم من بعده إلى يومنا هذا من سائر المسلمين في أنحاء الأرض.

وقد ذكر الإمام الصابوني في عقيدته: «أن أصحاب الحديث يرون المسارعة إلى أداء الصلوات وإقامتها في أوائل أوقاتها، أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات، ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام، ويأمرون بإتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما، والارتفاع من الركوع والانتصاب منه، والطمأنينة فيه، وكذلك الارتفاع من السجود، والجلوس بين السجدتين مطمئنين فيه، من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها»[٣] انتهى.

---

(١) زاد الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، في تعريف الشهادة بأن محمدًا رسول الله: «واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع». انظر: تيسير العزيز الحميد، ص (٥٥٤).

(٢) في الأصل والمخطوط: «الخمس».

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص (٩٧ - ٩٨)، تحقيق: بدر البدر، طبعة الكويت، (١٤٠٤هـ).

وسيأتي بيان ما يتعلق بالصلاة في القسم الثاني في ربع العبادات[١].

س٨: ما حكم من جحد وجوبها، ومن تركها تهاونًا وكسلاً؟

ج: حكم الأول: أنه يكفر، ويقتله الإمام أو نائبه بعد الاستتابة ثلاثة أيام، كسائر المرتدين.

والثاني: لا يكفر إلا إذا استتيب ثلاثة أيام، ودعاه إمام أو نائبه وامتنع وتضايق وقت الثانية التي بعدها فيقتل كفرًا، وكذا إذا ترك شرطًا أو ركنًا مجمعًا عليه، ولا قتل ولا تكفير قبل الدعاية، قال الشيخ تقي الدين: «وتنبغي الإشاعة عنه بتركها حتى يصلي، ولا ينبغي السلام عليه، ولا إجابة دعوته»[٢]. انتهى.

س٩: ما معنى إيتاء الزكاة؟

ج: إعطاء القدر الواجب في المال لمستحقه، كما سيأتي بيانه في القسم الثاني.

س١٠: ما حكم من جحدها، ومن تركها عازمًا على أن لا يعطيها؟

ج: حكم الأول: كسائر المرتدين.

والثاني: يستتاب إن كان عارفًا بوجوبها، وإن كان جاهلاً عُرِّف، فإن أصرَّ قتل حدًا ولا يكفر، وكذا القبيلة إذا امتنعت عن أدائها تقاتل، ويتولى

---

(١) لعله ما عناه في آخر هذه الرسالة، من وعد بطبع القسم الثاني منه، ولكن لم نجد له ذكرًا وللأسف.

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٣١٨).

ذلك إمام أو نائبه[١].

س١١: ما حكم من مات وعليه زكاة وجبت في ماله؟

ج: حكمها كديون الله وديون الآدميين، تؤخذ من تركته يخرجها وارث، فإن كان صغيرًا فوليه، فإن كان مع الزكاة دين آدمي وضاق ماله، قسمت التركة بالحصص، إلا إذا كان به رهن فيقدم.

س١٢: ما المراد بصوم رمضان، هل فيه تفصيل؟

ج: شهر رمضان لا يحتاج إلى تعريف وصيامه معلوم، أما وجوبه ففيه تفصيل؛ فيجب على المسلم البالغ العاقل القادر عليه. ويصح من مميز، ويجب على وليه أمره به إذا أطاقه ليعتاده، وإذا تركه ضربه كالصلاة، إلا أن الصوم أشق، فاعتبرت له الطاقة.

ويجب على الحائض والنفساء ولا يصح منهما، فيفطران مدة الحيض والنفاس ويقضيانها، ويجب على المسافر والمريض ومن في حكمه، ويسن لهما الفطر وعليهما القضاء.

س١٣: هل يجب على الكبير الهرم، أو المرأة الهرمة، أو المريض الذي لا يرجى برؤه، أو يسقط عنه بالكفارة أو غيرها؟

ج: لا يجب عليهم إذا عجزوا عن الصوم، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ويطعمون مكان كل يوم ما يجزىء في كفارة؛ مدًا من بر، أو نصف

---

(١) كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتاله المرتدين، حينما منعوا الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ ووافقه على ذلك سائر الصحابة رضوان الله عليهم.

صاع من غيره، ويسقط عنهما الاطعام بالسفر والمرض؛ لأن الفطر بعذر معتاد، ولا يصام عنهما؛ لأن الصيام عبادة محضة وجبت بأصل الشرع، فلا تدخله النية كالصلاة.

س١٤: ما حكم من جحده، ومن تركه من غير عذر؟

ج: هو مثل ما تقدم في الزكاة.

س١٥: ما المراد بحج البيت مع الاستطاعة؟ وهل هو على الفور؟

ج: الحج: قصد البيت من استطاع في العمر، على هيئة مخصوصة، ولا يجب إلا على من استطاع إليه سبيلا، بوجود الزاد والراحلة، ووجوبه حينئذ على الفور مع سعة الوقت وأمن الطريق، فإذا عجز عزم على الفعل عند الإمكان، ويأثم إن لم يعزم، فالعزم في العبادات مع العجز قائم مقام الأداء في عدم الإثم، وترك المستطيع للحج حتى مع العزم من الكبائر، التي ترد بواحدة الشهادة، كمنع الزكاة، وحكم من جحد وجوبه، ومن تركه مع العزم على أن لا يفعله، كما تقدم في الزكاة أيضًا.

س١٦: هل العمرة واجبة مثل الحج؟

ج: هي مثله بلا فرق بين المكي وغيره، ويروى عن الإمام عدم وجوبها على المكي، قال: يروى عن ابن عباس أنه قال: «يا أهل مكة، ليس عليكم عمرة؛ إنما عمرتكم الطواف بالبيت»[1]. وسيأتي بيان أحكام الحج والعمرة في القسم الثاني في ربع العبادات.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٨٨)، الطبعة الهندية.

المطلب الثاني
[في الإيمان الذي هو الركن الثاني من أركان الدِّين]

وفيه: الإيمان بالله وملائكته وكتبه. وفيه: عشرة أسئلة:

س١: ما الإيمان؟

ج: هو: تصديق القلب بكل ما جاء به نبينا محمد ﷺ، مما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه(١).

س٢: كم أركان الإيمان؟

ج: ستة؛ أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى.

س٣: قد اشتهر عن السلف: أن الإيمان قول وعمل ونية، وأنه يزيد وينقص على حسب الأعمال، فكيف أخرجتها عن مسمى الإيمان وقصرته على التصديق، وجعلت أركانه هذه الستة؟

---

(١) قال القاضي أبو يعلى: «وأما حده في الشرك - أي: الإيمان - فهو: جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، فالباطنة: أي: أعمال القلوب وهو تصديق القلب، والظاهرة: هي أفعال البدن والواجبات والمندوبات، ونص أحمد على هذا في مواضع».
انظر: القاضي أبو يعلى وكتاب مسائل الإيمان، ص (١٥٢)، حققه وعلق عليه الدكتور/ سعود الخلف.
وتصديق القلب هو: قوله لا عمله، كما حرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.
وقد نقل الإجماع على هذا ابن عبد البر في التمهيد (٩/ ٢٣٨)، فقال: «أجمع أهل الفقه والحديث على: أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانًا».

ج: نعم اشتهر عن السلف ما ذكر هو اعتقادنا، ولكن إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر، فلا فرق بينهما، فيصدق كل واحد منهما على ما صدق عليه الآخر، وإذا اجتمعا فرقنا بينهما، كما جاء في الحديث الذي سأل فيه جبريل النبي ﷺ فأجابه؛ تعليمًا للناس. وقد اقتفينا أثره(١).

س٤: ما معنى الإيمان بالله الذي هو الركن الأول من أركان الإيمان؟

ج: اعتقاد ربوبيته وألوهيته وحده(٢).

قال في الواسطية: «ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصف به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكليف ولا تمثيل»(٣).

وقد تقدم تفصيل ذلك في الباب الأول ومطالبه(٤).

س٥: فما معنى الإيمان بملائكته؟ ومن هم؟ وهو الركن الثاني من أركان الإيمان؟

ج: اعتقاد وجودهم، وأنهم عباد مكرمون، منزهون عن الصفات البشرية، معصومون من المعاصي، مخلوقون من النور كما في الصحيح(٥)، ولا يحصى عددهم إلا الله.

---

(١) تقدم تخريجه في أول الكتاب (ص٣٧).

(٢) وأسمائه وصفاته.

(٣) العقيدة الواسطية ص (٤٧)، بشرح ابن عثيمين، طبع بدار: البصيرة.

(٤) انظر: (ص٣٩) وما بعدها.

(٥) في صحيح مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: في أحاديث وتفرقه، ح (٢٩٩٦)، (٤/ ٢٢٩٤). من حديث: عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»**.

س٦: هل يكفي الإيمان بهم إجمالاً؟

ج: نعم يكفي من غير تفصيل، إلا من ورد بعينه باسمه المخصوص؛ جبريل وإسرافيل وعزرائيل(١)، ومنكر ونكير، ورضوان ومالك ورقيب وعتيد، فيجب الإيمان بهم تفصيلاً.

وكذا من ورد تعيين نوعه المخصوص؛ كحملة العرش، والحفظة، والكتبة، فهم علويون مقربون، وآخرون موكلون على كتابة الأعمال، وحفظ العبد عن المهالك، والدعوة إلى الخيرات، ويلمون للعبد بالخير كما تلم الشياطين له بالشر، لكل واحد منهم مقام معلوم.

س٧: الملائكة عالم لا يرى، فهل يوجد نظير هذا؟

ج: لله عوالم كثيرة لا ترى.

فمنها: أجسام حية تطير في الجو لا ترى إلا بالنظارة(٢)، ومنها: عالم الجن.

وهم جنس مكلفون، يثاب مسلمهم، ويعذب كافرهم، كما قال الله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(٣).

---

(١) لم يرد اسم عزرائيل في حديث صحيح، وإن كان قد ورد في بعض الإسرائيليات، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

(٢) أي: كائنات دقيقة، لا ترى إلا بالمجاهر والمناظير المكبرة؛ كالميكروبات والجراثيم ونحوها، وبعضها لا يرى.

(٣) سورة هود، الآية: (١١٩).

ومنهم: الشياطين، يوسوسون للآدميين، ويقصدون استنزالهم[١]، ويترصدون لهم، وأن الله يسلطهم على من يشاء، ويعصم[٢] من كيدهم ومكرهم من يشاء، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[٣]. فله سبحانه وتعالى عوالم غيبية؛ كالملائكة في عدم رؤيتها، لكونها أجسامًا لطيفة، وربما ظهر بعض الملائكة للرسول في صورة إنسان؛ كما كان ﷺ يرى جبريل في صورة دحية الكلبي[٤]، وكما قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[٥].

س٨: هل الملائكة أفضل من البشر؟

ج: مذهب أهل السنة أن صالح البشر أفضل من الملائكة، وقال بعضهم: النوع الإنساني أفضل منهم؛ لخروجه عن جبلته تبعًا للتكاليف[٦].

---

(١) كذا في الأصل والمخطوط. ولعلها: «استزلالهم».

(٢) في هامش الأصل: قوله: «ويعصم من كيدهم». نقل ابن القيم عن بقراط في بعض كتبه، قوله في معالجة الصرع: هذا ما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة، وأما الصرع الذي يكون من الأرواح فلا ينفع فيه هذا العلاج. وذكر أن أئمة الأطباء وعقلائهم يعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية، لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدفع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها. أهـ. قلت: انظر: زاد المعاد (٤/ ٦٧).

(٣) سورة المدثر، الآية: (٣١).

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٠٧)، بسند صحيح من حديث: ابن عمر، وذكره الحافظ في الإصابة (٣/ ١٩١)، عن النسائي وصحح إسناده. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٧٨)، عن أم سلمة، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: عفير ابن معدان، ضعيف».

انظر ترجمة الصحابي دحية في: الإصابة (٣/ ١٩١)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٠).

(٥) سورة مريم، الآية: (١٧).

(٦) انظر: شرح الطحاوية، ص (٣٣٨). قال ابن تيمية: «الملائكة أفضل في الحال، وصالحو =

وقال بعضهم: ليس في التفضيل كبير فائدة؛ لاختلاف نسبة الفضيلة في الجهة[١].

س٩: ما معنى الإيمان بكتبه الذي هو الركن الثالث من أركان الإيمان؟

ج: الاعتراف بأن لله كتبًا أنزلها على رسله، وهي من كلامه حقيقة، وهي كثيرة، اختلفت الروايات في عددها، فيكفي الإيمان بها إجمالاً إلا الكتب الأربعة؛ التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان. فيجب الإيمان بها وبنزول كل واحد منها من الله، لا اعتقاد أنها موجودة كما أنزلت، إلا القرآن، فإنه المخصوص بمزية حفظه من التبديل والتحريف؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾[٢] الآية. وقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٣]. وقد أيده الواقع، كما خص بالإعجاز من وجوه شتى.

س١٠: هل يجوز النظر في تلك الكتب السماوية؟

ج: لا يجوز؛ لأنه ﷺ غضب حين رأى مع عمر صحيفة من التوراة، وقال: «**أفي شك أنت يابن الخطاب؟!**» الحديث[٤].

= البشر أفضل في المآل». مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٣) وما بعدها، و(١٠/ ٣٠٠).

(١) ولذلك قال شارح الطحاوية ص (٣٣٨- ٣٤٨): «هذه المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول».

(٢) سورة فصلت، الآية: (٤٢).

(٣) سورة فصلت، الآية: (٩).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧)، والدارمي (١/ ١١٥)، وابن عبد البر في: جامع بيان العلم وفضله، (٢/ ٤٢). من حديث: جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

قال الحافظ في الفتح (١٣ / ٢٨٤): «رواه أحمد وابن شيبة والبزار، ورجاله موثقون، =

أما من أراد الدخول في رد الشبهات، فيجوز له النظر فيها للضرورة إذا كان أهلاً لذلك.



= إلا أن في مجالد ضعفًا». وحسنه الشيخ الألباني بشواهده في إرواء الغليل، ح (١٥٨٩) (٦/ ٣٤).

المطلب الثالث
[في الإيمان بالرسل]

وفيه: ثلاثة عشر سؤالاً:

س١: ما معنى الإيمان برسله، وما الحكمة في إرسالهم؟ وهو الركن الرابع من أركان الإيمان.

ج: اعتقاد أن لله رسلاً أرسلهم لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم. اقتضت حكمة الحكيم العادل، أن لا يهمل أشرف مخلوقاته بدون شريعة، يتم بها نظام أمورهم دينًا ودنيا، فبعث إليهم الرسل بالقانون المقدس، المبني على العدل والانصاف، وبيان ما يحتاجونه، إلى آخر ما اقتضت الحكمة بيانه.

كما عمت عنايته لجميع خلقه، من أنواع الحيوانات أعطاها ما يليق بها، وهداها إلى ما فيه [بقاؤها][1] وقوامها، وقد أشار في القرآن إلى الحكمة المذكورة بقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ﴾[2].

س٢: هل ميَّزهم سبحانه وتعالى بخصوصية فيهم؟

ج: ميّزهم بخصوصية فيهم كما قال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[3]، فانتخبهم الله من خلاصة خلقه وقدّسهم؛ ليكونوا واسطة

---

(١) في الأصل: «ابقائها».

(٢) سورة النساء، الآية: (١٦٥).

(٣) سورة الأنعام، الآية: (١٢٤).

بين جنابه الأقدس وبين بني جنسهم، فتكون لهم مناسبة ذات وجهين، فليست النبوة مكتسبة.

س٣: هل جعل الله علامات على صدقهم؛ كالعلامة التي تدل على رسالة رسول المَلِك إلى رعيته؟

ج: نعم جعل المعجزة[١] علامة على صدقهم في دعوى الرسالة، فهي في منزلة قوله تعالى: «صدق عبدي فيما يدعى». مع انضمام المعجزة إلى أحوالهم الجليلة وصفاتهم الجميلة، من سلامة فطرتهم، وكمال أخلاقهم[٢].

س٤: ما هي المعجزة؟ وما الفرق بينها وبين الكرامة؟

ج: المعجزة هي: أمر خارق للعادة على يد داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة على وجه التحدي، وهو طلبها منه علامة على صدق دعواه الرسالة، ولإقناع المنكرين وإعجازهم.

والكرامة: أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة والتحدي، بل يقع عفوًا من الله؛ إكرامًا للرجل الصالح، من غير علم منه، فلا يقطع هو بكرامته لنفسه ولا يدعيها، ولا يعلم من ظهرت منه أو غيره، أنه ولي الله تعالى غالبًا، ولا تدل على ولايته؛ لجواز سلبها أو كونها استدراجًا، وقد قال ابن كثير في تفسيره: «لا يقطع لأحد أنه ولي الله؛ لأن ذلك من

---

(١) ليست المعجزة وحدها هي الدليل على صدق الرسول، كما يقرر المتكلمون. إنما يجعل الله للرسل من الآيات والبراهين الكثيرة والمختلفة على أيديهم، ما على مثله يؤمن البشر ومنها المعجزة.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ١٨٨، ١٨٩)، وشرح الطحاوية ص (١٥٨).

الغيب الذي لا يعلمه إلا الله»(١).

س٥: ما الفرق بين النبي والرسول؟

ج: النبي إنسان أوحي إليه بشرع ليعمل به في خاصة نفسه، ولم يؤمر بتبليغه إلا كونه نبيًا ليحترم.

والرسول: إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه. فكل رسول نبي ولا عكس(٢).

س٦: هل يجب الإيمان تفصيلا بكل نبي ورسول؛ بحفظ بيان عددهم؟

ج: يكفي الإيمان بأن لله أنبياء ورسلاً هكذا بالإجمال، ولا يجب حفظ أسماء من جاء النّص بذكرهم، ولكن إنكار نبوة أو رسالة واحد منهم كفر،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٣٢-٢٣٣) بنحوه. وانظر: النبوات لابن تيمية ص (٤، ٢٠٦، ٢٣٣). وذلك فيما عدا الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم. فهم أولياء لله قطعًا.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص (١٦٧)، ولوامع الأنوار البهية (١/ ٤٩)، وهذا هو الشائع بين العلماء، ولكن فيه نظر؛ لأن الله تعالى نص على أنه أرسل الأنبياء، كما أرسل الرسل، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢].

الأمر الثاني: إن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم وإنما ليبلغ، وقد أمر العلماء بالتبليغ فما بالك بالأنبياء؟! قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

ولعل الفرق المختار: أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو: المبعوث لتقرير شرع من قبله. والله أعلم.

انظر: النبوات لابن تيمية، ص (١٨٤)، وتفسير الألوسي (١٧/ ١٥٧)، والرسل والرسالات للأشقر، ص (١٤).

ولا يعلم عدد الأنبياء بيقين[١]، وأما عدد الرسل المذكورين في القرآن فخمسة وعشرون: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، وذو الكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، والياس، واليسع، ويونس، ويحيى، وعيسى، و محمد ﷺ.

س٨: من هم أولو العزم منهم؟

ج: خمسة: محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام.

س٩: ماذا يجب لهم من الصفات عليهم الصلاة والسلام؟

ج: يجب لهم [أربع][٢] صفات: الصدق والأمانة، والتبليغ لما أمروا به، والفطانة[٣].

---

(١) قد أخبرنا رسول الله ﷺ بعدد الأنبياء والمرسلين؛ فعن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر جمًا غفيرًا». وفي رواية أبي أمامة، قال أبو ذر: قلت: يارسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًا غفيرًا». رواه أحمد في المسند (٥/ ١٧٨، ١٧٩، ٢٦٦)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢١٧)، وصححه الألباني في المشكاة (٣/ ١٢٢).

كما أخرجه ابن حبان (٢/ ٧٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٧)، والبيهقي في السنن (٩/ ٤) بإسناد ضعيف جدًا.

(٢) في الأصل: «أربعة».

(٣) في الأصل: «النظافة».

س١٠: ماذا يستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام؟[١].

ج: يستحيل عليهم أضداد الصفات الواجبة لهم؛ وهي: الكذب، والخيانة، والكتمان، والغفلة، والبلادة.

وبالإجمال: يجب اتصافهم بصفات الكمال والعصمة، والنزاهة عن كل ما ينفرد طبعًا، أو يعد عيبًا عند الناس؛ لأن ذلك ينافي حكمة البعثة التي أشرنا إليها سابقًا.

س١١: ماذا يجوز في حقهم صلوات الله وسلامه عليهم؟

ج: يجوز في حقهم وقوع الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية؛ كالأكل، والشرب، والجماع، والمرض غير المنفر، وكالتجارة والاحتراف بحرفة ليست دنيئة.

س١٢: هل يجب اعتقاد العصمة لهم من الذنوب، وكيف تكون؟

ج: نعم يجب اعتقاد عصمتهم من الكفر والكبائر، والإصرار على الصغائر[٢]، يعصمهم الله سبحانه بوجوه ثلاثة، كما أفاده بعضهم:

أحدهما: أن يخلقهم في سلامة من الفطرة، وغاية اعتدال الأخلاق، فلا تكون لهم رغبة في المعاصي، بل ينفرون عنها.

---

(١) انظر: ما يجب وما يستحيل في حقهم صلوات الله وسلامه عليهم؛ لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٠٣- ٣١٠).

(٢) قد يقع منهم بعض الذنوب، ولكنهم لا يقرُّون عليها فيتوبون إلى الله ويقلعون عنها، وتحدث لهم عقيبها عبودية التوبة والإنابة التي لا تكون إلا بعد الوقوع في الذنب.

والثاني: أن يوحي إليهم: أن المعاصي يعاقب عليها، والطاعات يثاب عليها، فيكون ذلك رادعًا لهم عنها.

الثالث: أن يحول الله تعالى بينهم وبين المعاصي؛ بأحداث لطيفة غيبيئة، كما وقع في قصة يوسف عليه السلام، ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾(١). ولا عصمة لغير الأنبياء. وهي واجبة لهم في تبليغ ما أمروا به عن ربهم.

س١٣: هل يبلغ الولي درجة النبي؟ ومن هو الولي؟ وقد نقلت فيما سبق عن ابن كثير بأنه: «لا يقطع لأحد أنه ولي الله». وقد جاء ذكر الأولياء في القرآن كثيرًا وكذا في السنة؟

ج: أجمعوا على: أن الولي لا يبلغ درجة النبي، ولا عبرة بمن شذ(٢).

وأفضل أولياء الله هم: أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلون أولو العزم، وأفضلهم نبينا ﷺ.

وأولياؤه تعالى بينهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾(٣). فعلامتهم التقوى بمتابعة السنة، وهم في جميع أصناف الأمة المحمدية، من تجار وصناع وزراع وغيرهم، فنحسن الظن بمن كانت هذه صفته، ولا نقطع

---

(١) سورة يوسف، الآية: (٢٤).

(٢) مثل: دعوى بعض غلاة الصوفية، أن مقام الولي فوق مقام النبي. وفي هذا يقول قائلهم:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٧١) و(١١/ ٢٢٦)، وشرح الطحاوية ص (٥٥٥- ٥٥٨).

(٣) سورة يونس، آية: (٦٣).

له بالولاية، كما لانقطع له بالجنة[١]، فلا يقطع أهل السنة لأحد بها إلا لمن بشره ﷺ بها؛ لأن ذلك مغيب عنهم، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان، ولا يدري أحد بما يختم له، ولكن يشهدون لمن مات على الإسلام أن عاقبته الجنة.



(١) وكما لا يقطع لأحد من المسلمين بالنار، وإنما نرجو للمحسن ونخشى على المسيء.

المطلب الرابع

[في الإيمان باليوم الآخر، وما يتعلق به من أحوال البرزخ]

وفيه: أربعة عشر سؤالاً:

س١: ما معنى الإيمان باليوم الآخر الذي هو الخامس من أركان الإيمان؟

ج: اعتقاد وجوده، من الموت إلى آخر ما يقع يوم القيامة، بجميع ما اشتمل عليه من سؤال الملكين، ونعيم القبر وعذابه، والجزاء، والبعث، والنشر، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، ودخول المؤمنين الجنة، والكافرين النار، ورؤية الله للمؤمنين.

وفي حديث جبريل، برواية البيهقي(١) بلفظ: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالجنة والنار والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره**». قال: فإذا فعلت هذا فأنا مؤمن؟ قال: «**نعم**». قال: صدقت.

س٢: ما هو سؤال الملكين؟ ونعيم القبر وعذابه؟

ج: الملكان: منكر ونكير يسألان الميت في قبره، من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ وقد يكون أكثر.

فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد ﷺ.

---

(١) شعب الإيمان، ح (١٩ (١/ ٥٣). بنحوه.

وورد بهذا اللفظ عند ابن حبان، ح (١٧٣) (ا/ ٣٩٧)، وبنحوه عند أحمد في المسند، (١/ ٣١٩). وأصل الحديث في الصحيحين، كما تقدم تخريجه في أول الكتاب.

وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فيه فقلته، فيعذب[(١)].

وهذه فتنة القبر التي استعاذ منها ﷺ ومن عذابه، وأمر بالاستعاذة منها، كما روى البيهقي عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ، كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «**قولوا: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»[(٢)]. وفي رواية له عن أبي هريرة: «**إذا فرغ أحدكم من صلاته فليدع بأربع، ثم ليدع بما شاء**»[(٣)]. وقد استحبه فقهاؤنا في آخر التشهد الأخير.

فيؤمن أهل الدِّين جميعهم: بأن سؤال الملكين في القبر حق، وأن عذابه ونعيمه حق.

س٣: كيف يسأل الميت؟ أو كيف يعذب أو ينعم ونحن نراه لا يتحرك؟

ج: يصير الميت من حين موته إلى عالم آخر، فيه مستقر الأرواح، ويسمى: بالبرزخ؛ لأنه ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[(٤)]. وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة.

---

(١) كما في حديث: البراء بن عازب المشهور، رواه أبو داود في كتاب السنة، باب: في المسألة وعذاب القبر، ح (٤٧٥٣) (٤/ ٢٣٩)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٢٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب: المساجد، ح (٥٩٠) (١/ ٤١٣). من حديث: ابن عباس.

(٣) رواه مسلم في كتاب: المساجد، ح (٥٨٨) (١/ ٤١٢). وروى نحوه في البخاري، كتاب: الجنائز، ح (١٣٧٧) (فتح ١/ ٢٤١).

(٤) سورة المؤمنون، الآية (١٠٠).

ومنه: عذابِ القبر ونعيمه، وهما على الأرواح، والأبدان تبع لها(١).

وكيفية السؤال كما وردت، فحال الميت كحال النائم، وكل ما يقع عليه ليس من جنس المعهود في الدنيا، اقتضت حكمة الباري ستر ما يجرى في البرزخ؛ لسعادة من يؤمن بالغيب، وشقاوة من يكفر به، فلا مجال للعقل فيه، مع أنه لا يستحيل في العقل سائر المغيبات، وكيف يستحيل ذلك وقد وجد نظيره في الدنيا؛ وهو النوم.

س٤: هل حكم البرزخ شامل لكل أحد حتى الأنبياء، مع أننا نعتقد حياتهم؟

ج: حكم البرزخ شامل لكل من فارق الدنيا على اختلاف مقاماتهم وأحوالهم. وحياة الأنبياء برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى، وهي في التمثيل أشبه بحال الملائكة، وإلا فمن يعلم تلك العندية التي أخبر عنها تعالى بقوله: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾(٢).

وحياة الأنبياء أعلى درجة من الشهداء، ولحومهم محرمة على الأرض، كما قال ﷺ: «**إن لحوم الأنبياء محرمة على الأرض**»(٣). وقال: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض**». كما رواه مسلم(٤).

---

(١) انظر: الروح لابن القيم، ص (٦٣، ٧٣)، وشرح الطحاوية، ص (٤٥١).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٦٩).

(٣) رواه أبو داود، ح (١٠٤٧) (١٥٣١)، والنسائي ح (١٣٧٤)، وابن ماجه ح (١٠٨٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٨)، وغيرهم، من حديث: أوس بن أوس، بلفظ: «**إن الله ـ عز وجل ـ حرم على الأرض أجساد الأنبياء**».

(٤) في كتاب: الفضائل، ح (٢٢٧٨) (٤/ ١٧٨٢)، بلفظ: «**أول من ينشق عنه القبر**».

س٥: ما البعث والنشر؟

ج: هما مترادفان بمعنى: إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها.

فيؤمن أهل الدِّين بأن البعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل - عليه السلام - في الصور، ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾(١).

وقد جاء في القرآن والسنة أمثال كثيرة لأثبات البعث؛ ردًا على الدهريين، فهو من الممكنات، وكذا ما بعده من الحشر والحساب، وغيرهما من أحوال يوم القيامة.

س٦: ما الحشر والحساب؟

ج: الحشر: سوق الناس جميعًا إلى الموقف بعد البعث، بأبدانهم وأرواحهم، حفاة عراة ركبانًا ومشاة على وجوههم، فيقفون في موقف القيامة، حتى يشفع فيهم نبيهم ﷺ، فيحاسبهم الله - تبارك وتعالى - وتنصب الموازين، وتنشر الدووابن، وتتطاير صحف الأعمال إلى اليمين، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾(٢).

س٧: ما هو الميزان؟

ج: قال علماؤنا كغيرهم: «نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق». قالوا: «وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال»(٣).

---

(١) سورة يس، الآية: (٥١).

(٢) سورة الأنشقاق، الآية: (٧- ١٢).

(٣) شرح الطحاوية (٤٧٢ – ٤٧٥).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «توزن الحسنات في أحسن صورة، والسيئات في أقبح صورة»[١].

قال العلامة الشيخ مرعى في بهجته: «الصحيح أن المراد بالميزان: الميزان الحقيقي. كذا في شرح عقيدة السفاريني»[٢].

ومن المقرر: أن أحوال البرزخ والآخرة لا تقاس على ما في الدنيا، وإن اتفقت الأسماء، فنؤمن به كما ورد، قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾[٣].

س٨: ما الحكمة في الوزن مع أن الله عالم بكل شيء؟

ج: قال الشيخ مرعى: «الحكمة فيه إظهار العدل، وبيان الفضل، حيث أنه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر»[٤].

س٩: ما هو الصراط؟

ج: هو: جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون، يجوزه الأبرار ويزل عنه الفجار، وقد أطال العلماء في وصفه، كما ورد في الآثار، فنؤمن به كما ورد[٥].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٥٦٣). قال السيوطي - في تدريب الراوى (١/ ١٨١) عن إسناده -: «من أوهى الأسانيد عن ابن عباس».

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٨٨).

(٣) سورة المؤمنون، الآية: (١٠٢، ١٠٣).

(٤) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٨٨).

(٥) انظر: شرح الطحاوية ص (٤٦٩ – ٤٧٢).

س١٠: ما الحوض؟

ج: هو: حوض النبي ﷺ، الكوثر، ترده أمته المرحومة، كما صح عنه: **«أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا»**[(١)].

واختلف في كونه قبل الصراط أو بعده، وجمع بعضهم بين القولين: باحتمال أن يقع الشرب قبل الصراط لقوم، وتأخيره بعده لآخرين[(٢)]؛ بحسب ما عليهم من الذنوب والأوزار، حتى يهذبوا منها على الصراط، فهو ثابت بإجماع أهل الحق[(٣)].

س١١: ما الشفاعة؟

ج: هي: شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف كلهم شفاعة عامة، وللمذنبين من أهل التوحيد وأهل الكبائر[(٤)] خاصة. فيخرجون بشفاعته بعد ما احترقوا

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الرقائق، باب: في الحوض ح (٦٢٠٨) (٥/ ٢٤٠٥)، ومسلم في الفضائل، باب: إثبات حوض نبينًا ﷺ، ح (٢٣٠٠) (٤/ ١٧٩٨).

(٢) وذهب بعضهم: إلى أن للنبي ﷺ حوضين. انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، ص(٢٩٧)، دار: إحياء الكتب العربية.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨/ ٥٢٣): «قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث».

وقال السيوطي: «ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيًا، منهم: الخلفاء الراشدون». انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٩٤).

(٤) كما قال ﷺ: **«لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة - إن شاء الله - من مات أمتي لا يشرك بالله شيئًا»**.

رواه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: لكل نبي دعوة، ح (٥٩٤٥) (٥/ ٢٣)، ومسلم في الإيمان، باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة، ح (١٩٩) (١/ ١٨٩).

وصاروا حممًا، فيدخلون الجنة بشفاعته ﷺ.

وهو أول شافع ومشفع، فلسائر الأنبياء والملائكة والمؤمنين شفاعات، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[١]. ولا تنفع الكافرين شفاعة الشافعين.

س١٢: أين الجنة والنار وما هما؟

ج: لم يصرح نص بتعيين مكانهما[٢]، بل حيث شاء الله تعالى، وهما مخلوقان لا يفنيان[٣].

فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون، والمجرمون ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[٤].

«ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود ولا موت. ويا أهل النار، خلود ولا موت»[٥].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٢٨).

(٢) انظر: حادى الأرواح ص (٤٦-٤٧)، ولوامع الأنوار (٢/ ٢٣٧-٢٣٩).

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الجنة فوق السماء السابعة؛ استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: ١٣-١٥].

(٣) في الأصل: «ينفيان».

(٤) سورة الزخرف، الآية: (٧٤-٧٥).

(٥) جزء من حديث، رواه البخاري في التفسير، باب: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، ح (٤٤٥٣) (٤٤/ ١٧٦٠)، ومسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون، ح (٢٨٤٩) (٤/ ٢١٨).

س١٣: كيف تكون رؤية الله للمؤمنين؟

ج: رؤيته تعالى بلا كيف ولا تحديد(١) في الرؤية والمرئي والرائي في حال بصره، فأحوال الآخرة لا تقاس على ما في الدنيا، وهو سبحانه ليس كمثله شيء، فنؤمن بما أخبر به هو ونبيه ﷺ من رؤيته تعالى، كما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٢). وقال ﷺ: «**إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»(٣). والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي(٤).

س١٤: ماذا تعتقد في أشراط الساعة؟ أي علامات قرب يوم القيامة؟

ج: كل ما صح النقل فيه فيما شاهدناه أو غاب عنا نعتقده، ونعلم أنه صدق وحق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، ومن ذلك أشراط الساعة؛ مثل: ١ ـ خروج الدجال، ٢ ـ ونزول عيسى ابن مريم فيقتله، ٣ ـ وخروج يأجوج ومأجوج، ٤ ـ وطلوع الشمس من مغربها، ٥ ـ وخروج الدابة وما أشبه ذلك(٥) كما قاله الموفق

---

(١) شرح الطحاوية ص (٢١٤). وقوله: «بغير إحاطة ولا كيفية»، هذا لكمال عظمته وبهائه.

(٢) سورة القيامة، الآية: (٢٢، ٢٣)

(٣) رواه البخاري في كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، ح(٥٢٩) (١/ ٢٠٣)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ح(١٨٢) (١/ ١٦٤).

(٤) ينظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني، ص (٢٦٤) تحقيق: ناصر الجديع.

(٥) عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه، أنه قال: طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذكر الساعة، فقال: «**ما تذاكرون؟**»، قالوا: نذكر الساعة، فقال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**». فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف =

ابن قدامة[١].

وعَدَّ السفاريني أشراط الساعة الكبرى عشرة، منها: هذه الخمسة، والخمسة الباقية: ١ـ خروج المهدي، ٢ ـ هدم الحبشة الكعبة، ٣ ـ رفع القرآن من الصدور، ٤ ـ خروج الدخان، ٥ ـ خروج النار من عدن. وأطال الكلام عليها في شرحه على الدرة[٢].



= بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.
رواه مسلم في كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح (٢٩٠١) (٤/ ٢٢٥).

(١) انظر: لمعة الاعتقاد ص (٢٥-٢٦).

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٧٠- ١٤٩).

المطلب الخامس
[في الإيمـــان]

س١: ما معنى الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، وهو الركن السادس من أركان الإيمان؟

ج: اعتقاد أنه ـ تعالى ـ قدر الخير والشر قبل الخلق، من طاعة وعصيان، ومحبوب ومكروه، وأنه خلق أفعالهم جميعها؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(١)، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾(٢). فهي واقعة بإرادته وتقديره وعلمه وقدرته، قال الإمام أحمد: «من أنكر القدر فقد أنكر القدرة»(٣)، وقال الإمام الشافعي: «القدرية إذا سلموا العلم خصموا»(٤).

س٢: هل يلزم من كون الله خالقًا لجميع أفعال خلقه أن يكونوا مجبورين، وغير مجدِّين للسعي في طلب الخير ودفع الشر، وغير مستحقين للثواب والعقاب؟

ج: لا يلزم ذلك؛ فإن الله تعالى وهب للإنسان مدارك وقوى، وبين له طرق الخير والشر، أمره بالسعي في طلب الأول، وتجنب الثاني، وجعل العقل قائده، فهو يسعى في مصالحه بإرادته واختياره وقدرته وعقله، فيكسب ما أراده واختاره، والله يجازيه على سعيه وكسبه، وإن كانت قدرته

---

(١) سورة الصافات، الآية: (٩٦).

(٢) سورة القمر، الآية: (٤٩).

(٣) ذكره شيخ الإسلام في: منهاج السنة (٣/ ٢٥٤). وانظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٣).

(٤) ذكره عنه شارح الطحاوية، ص (٣٠٢)، والحافظ ابن حجر في الفتح (٣/ ٣٤٧).

تحيط بجميع الكائنات وهي مرجعها، فإذا حالت بين الإنسان وفعله، استمد المعونة من خالقه واستعان به ولم ييأس، ولا يزال يسعى بجد واجتهاد وراء الخير كما أمر به، ويكافح الشر، ويخوض غمار الموت، معتقدًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولو اجتهد الخلق أن ينفعوا بما لم يقضه الله عليه لم يقدروا، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[1].

ولا يخفي على العاقل أن هذه العقيدة تورث قوة وشجاعة وكياسة، وبها ساد المسلمون في الصدر الأول.

س٣: هل يضاف الشر إلى الله، أو ما يتوهم من إضافته نقص؟

ج: لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الإنفراد، بأن يقال: ياخالق القردة والخنازير، أو يا خالق الشر، ويا مقدِّر الشر، وإن كان هو الخالق لجميع الموجودات، والمقدر للشر[2]، قال ﷺ: «**الخير في يديك، والشر**

---

(١) سورة يونس، الآية: (١٠٧).

(٢) ولذلك جاءت إضافة الشر في القرآن على أربعة أنواع:

أ- أن يدخل الشر في العموم، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

ب- أن يضاف إلى السبب كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق].

ج- أن يذكر بحذف فاعله، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

=

ليس إليك»[١]. قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٢]، فأضاف المرض إلى نفسه، والشفاء إلى ربه، وإن كان الجميع منه.

وقال الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[٣]، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ الآية[٤].

س٤: هل يجوز الاحتجاج بالقدر في ارتكاب المناهي وترك الأوامر؟

ج: لا يجوز؛ فقد نهي عنه ﷺ، وصار الاعتذار به معدودًا من الحماقة عند الناس، ولا يرضى به إنسان في أحواله الخصوصية، لما هو راسخ في الطبيعة من اعتقاد الكسب، وترتيب الجزاء عليه دينًا ودنيًا، كما تقدم بيانه.

ولله الحجة البالغة على عباده، بإنزال الكتب وبعث الرسل، قال تعالى:

= د- أن يضاف إلى من وقع عليه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

قاعدة: قال ابن القيم - في بدائع الفوائد (٢/ ١٢) -: «الطريقة المعهودة في القرآن؛ وهي: أن أفعال الإحسان والرحمة والجود، تضاف إلى الله سبحانه وتعالى، فيذكر فاعلها. وأفعال العدل والجزاء والعقوبة يحذف فاعلها، ويبنى الفعل معها للمفعول؛ أدبًا في الخطاب».

وانظر: النووي في المنثورات، ص (١٧٠).

(١) رواه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل، ح: (٧٧١) (١/ ٥٣٥).

(٢) سورة الشعراء، الآية: (٨٠).

(٣) سورة الكهف، الآية: (٧٩).

(٤) سورة الكهف، الآية: (٨٢).

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[1]. وهو تعالى لم يجبر أحدًا على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة، ولم يأمر ولم ينه إلا بما يستطاع من الفعل والترك، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[2]. وقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾[4]. فدل على أن للعبد كسبًا يجزى على حسنه بالثواب، وعلى سئيه بالعقاب، وهو راض بقضاء الله وقدره.

قال بعضهم: «وبالضرورة إن لقدرة العبد وإرادته مدخلاً في بعض الأفعال؛ كحركة البطش، دون البعض كحركة الارتعاش».

س٥: هل يجب الرضا بالقضاء والتسليم للقدر؟ وما معنى ذلك؟

ج: معنى الرضا بالقضاء: هو أن لا يعترض على الحكم ولا يتسخطه، ولو أحس بالألم والمكاره.

وحكمه: الاستحباب في المصائب التي تصيب العبد، والوجوب في القضاء الديني الشرعي في الأمر والنهي؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ الآية[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: (١٦٥).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٨٦).

(٣) سورة التغابن، الآية: (١٦).

(٤) سورة غافر، الآية: (١٧).

(٥) سورة النساء، الآية: (٦٥).

وعدم الجواز في القضاء بالكفر والمعاصي، فإن الله نهى عن الرضا به وإن قدره، فهو لم يأمر به. قال بعضهم: «القضاء الذي هو صفة الله فالرضى به واجب». ونظمه السفاريني بقوله:

وَلَيسَ وَاجِبٌ عَلَى العبد الرِّضَا بِكُلِ مُقْضَي وَلَكِنْ بِالقَضَاءِ[١]

س٦: هل يجوز الاتكال على القدر بترك الأخذ في الأسباب؛ كترك السعي في طلب الرزق؟

ج: لا يجوز؛ فإن الله ربط الأسباب بالمسببات، وأمر بالسعي في طلبها، وتعاطي كل سبب لجلب نفع ودفع ضر، وأوجب العقوبة على ترك الأخذ في الأسباب، وكل من قوي إيمانه قوي تعلقه بها. ولم يهمل شيئًا منها مع الاعتماد على ربه[٢]، كما جاء في الحديث: «**اعقل وتوكل**»[٣].

وكل من تقاعس عن شيء من الأسباب اتهم بخلل في عقله، وترتب عليه الإثم والعقاب ولوم الناس عليه، وتبكيت الضمير لنفسه.

---

(١) لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٥٧).

(٢) لأنه كلما قوي إيمان العبد كثر تحقيقه للأسباب المنجية من عذاب الله والنافعة له في دنياه وأخراه، وازداد تعلق قلبه بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى، فيجتهد العبد في تحقيق عبودية القلب لله تعالى؛ بحسن التوكل عليه، وتحقيق عبودية الجوارح بإتعابها في العمل بالأسباب الأخروية.

(٣) رواه الترمذي في صفة يوم القيامة، باب: (٥٩)، ح (٢٥١٧) (٤/ ٦٦٨)، من حديث: أنس، وقال: «غريب». ورواه ابن حبان ح (٧٣١) (٢/ ٥٠٠)، من حديث: عمرو بن أمية. وحسن الألباني حديث أنس، كما في صحيح الجامع، ح: (١٠٦٨).(١/ ٢٤٢).

س٧: هل ينفع الدعاء، ويُعَدّ من الأسباب؟

ج: جاء في حديث ثوبان: «**لا يُرَدُّ القدر إلا بالدعاء**»(١). وفي معناه عن عائشة(٢) وابن عمر، فهو نافع سيما مع الإلحاح فيه، ولكن لا يترك معه تعاطي الأسباب، فاليد تعمل، واللسان يدعو، والقلب يتوكل على ربه(٣).

س٨: هل يجوز الاستثناء في الإيمان بأن يقال: أنا مؤمن إن شاء الله، معلقًا بالمشيئة على وجه التبرك(٤) والجهل بالخاتمة؟

ج: مذهب أهل الحديث والحنابلة جوازه، والتلفظ به، واستحبه بعضهم(٥)، قال ابن عقيل: «لا على الشك(٦) في الحال بل في المآل، أو

---

(١) رواه الترمذي في كتاب: القدر، باب: ما جاء: لا يرد القدر إلا بالدعاء، ح: (٢١٣٩) (٤/ ٤٤٨)، وقال: «حسن غريب». وابن ماجه في القدر، ح: (٩٠) (١/ ٣٥)، وابن حبان ح: (١٧٢٢) (٣/ ١٥٣)، والحاكم في المستدرك ح: (١٨١٤) (١/ ٩٧٠). وحسنه الألباني في الصحيحة ح: (١٥٤).

(٢) بلفظ: قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينفع حذر من قدر، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن الدعاء ليصادف البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة**». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٦): «رواه الطبراني في الأوسط، والبزار بنحوه. وفيه: زكريا بن منظور، وثَّقه أحمد بن صالح المصري، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات».
وانظر: تحفة الذاكرين ص (٢٩). وعند البزار نحوه عن أبي هريرة، إلا أن فيه متروك.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١، ٢٢)، وشرح الطحاوية ص (٥٢١،٥٢٠).

(٤) لم أقف على من قال: إنه يستثنى على وجه التبرك!

(٥) قال شارح الطحاوية ص (٣٩٨): «وأما من يجوز الاستثناء وتركه، فهم أسعد بالدليل من الفريقين». يعني: الموجبين والمانعين حسب نيته.

(٦) سئل الإمام أحمد عن الاستثناء في الإيمان؟ فقال: «نعم، على غير معنى الشك؛ مخافة =

قبول بعض الأعمال، ولحوق التقصير، أو كراهية تزكية النفس». انتهى.

وذلك لأن الإيمان يزيد وينقص، فلا يجوز الاستثناء في الإسلام بأن يقول: أنا مسلم إن شاء الله، بل يجزم. وقيل: بالجواز[1]. والأولى سد هذا الباب والوقوف عند الوارد، كما هو دأب السلف.



= واحتياطًا للعمل. وقد استثنى ابن مسعود وغيره». السنة للخلال (٣/ ٥٩٣). وانظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٥٠).

(١) انظر في تحرير المسألة وتفصيلها: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٥٦، ٤١٥).
وذكر ابن منده في الإيمان (١/ ٣١١) عن الإمام أحمد: «أقول: مؤمن إن شاء الله. وأقول: مسلم، ولا أستثني».

المطلب السادس

[في الوعد والوعيد]

وفيه: تعداد الكبائر، وفيه: خمسة أسئلة، وست وستون كبيرة:

س١: هل يستحق المؤمن المطيع ثوابًا على عمله، والمؤمن العاصي عقابًا على ذنبه؟

ج: يثيب الله المطيع بفضله، ويعذب العاصي بعدله، فلا تقطع لطائع بجنة ونجاة لشخص معين، ولا لعاص بنار، بل المؤمن بين الرجاء والخوف، والله المالك المطلق لا يسئل عما يفعل، فله العفو عن المذنب وإن لم يتب، وعن الكافر إذا أسلم، كما أن له إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم(١)، وله تعجيل الثواب والعقاب وتأخيرهما.

س٢: هل يتخلف وعد الله المؤمنين الجنة، ووعيده بتعذيب العصاة الموحدين؟

ج: وعد الله حق لا يتخلف شرعًا قطعًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ

---

(١) يعني: من حيث الحق، كما في الحديث: «**لو أن الله عذب أهل سماواته وأرضيه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم**». ولكن الله لا يفعل تفضلاً منه وتكرمًا، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وقال سبحانه: ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠]. وقال سبحانه: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. **فله سبحانه الحكمة البالغة، والحجة الباهرة.**

وَعْدَهُۥ ﴾(١)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾(٢).

أما وعيده للعصاة الموحدين: فيجوز تخلفه بالنسبة للكرم وعفو الكريم الذي يضرب به المثل عند العرب، ولا يلزم من ذلك الكذب في أقواله جل وعلا.

على أن نفوذ الوعيد صادق بواحد من كل صنف من طوائف العصاة الموحدين، على أن العفو يصدق بما بعد العذاب والتعذيب، وقد وعدهم به ونفاه عن غير الموحدين، في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(٣).

س٣: من هم عصاة الموحدين، وما حكمهم، وما الواجب عليهم؟

ج: كل من ارتكب كبيرة، أو أصرَّ على صغيرة، سمي عاصيًا وفاسقًا.

وحكم العاصي كسائر المؤمنين، لا يخرج من الإسلام بمعصية، ولكن لا تقبل شهادته(٤)، ولا يصلى خلفه(٥) إلا الحاكم الجائر، فيصلى خلفه

---

(١) سورة الروم، الآية: (٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٩).

(٣) سورة النساء، الآية: (٤٨، ١١٦).

(٤) ليس على إطلاقه، وإنما فيه تفصيل؛ والله تعالى لم يأمر برد خبر فاسق، وإنما أمر بالتبين والتثبت، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦]. انظر تفصيل ذلك: كتاب الطرق الحكمية لابن القيم، ص(٢٥٦-٢٥٧)، طبع بمطبعة المدني، بالقاهرة.

(٥) وإن صلى خلفه لم تبطل صلاته، وصلاته في نفسه صحيحة، قال شيخ الإسلام في =

الجمعة والعيدين.

والواجب على العاصي: التوبة من المعصية. وأركانها ثلاثة: ١ـ الإقلاع عنها. ٢ـ والندم على فعلها. ٣ـ والعزم على أن لا يعود إليها أبدًا[١].

س٤: ما هي الكبيرة؟

ج: ما كان فيه حَدٌّ في الدنيا أو وعيد في الآخرة، زاد بعضهم: «أو جاء فيه وعيد ينفي الإيمان، أو لعن»[٢].

= مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٥٤): «ولكن كره من كره الصلاة خلفه؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب». وانظر: شرح الطحاوية ص (٤٢٢).

(١) ويزاد عليها رابع: وهو التحلل منها إن كانت مظلمة لشخص ما أمكنه ذلك.
وخامسها: الإخلاص لله تعالى؛ لأن الإنسان قد يتوب من أجل الدنيا.

(٢) روى ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٢٤٦)، عن ابن عباس قال: (الكبائر: كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنه أو عذاب).

[مبحث: عدد الكبائر]

س٥: كم عدد الكبائر؟

ج: جمعها كثير من العلماء واختلفوا في تعدادها، فمنهم المكثر ومنهم المقل[١].

ألف فيها الشيخ ابن حجر المكي كتابه: «الزواجر»، وأجاد فيه وأوصلها إلى: أربعمائة وست وستين كبيرة.

وألف فيها الحافظ الذهبي إلى سبعين كبيرة[٢]. ونظمها صاحب: «الإقناع» فأوصلها إلى ست وستين كبيرة. وهي في هذا الجدول المقابل.

وقد ذكر ابن القيم في: «مدارج السالكين» فصلاً في أجناس ما يتاب منه، ولا يستحق العبد اسم التائب حتى يتخلص منها، وقال: «إنها اثنا عشر جنسًا، عليها مدار كل ما حرم الله، وإليها ينتهي العالم بأسرهم، إلا أتباع الرسل صلوات الله عليهم وسلامه»[٣].

وقد عَدَّ تلك الأجناس ـ أي: الأمهات الإثنا عشر ـ وشرحها؛ وهي هذه: ١ ـ الكفر، ٢ ـ الشرك، ٣ ـ النفاق، ٤ ـ الفسوق، ٥ ـ العصيان، ٦ ـ الإثم، ٧ ـ العدوان، ٨ ـ الفحشاء، ٩ ـ المنكر، ١٠ ـ البغي، ١١ ـ القول على الله بغير علم، ١٢ ـ اتباع غير سبيل المؤمنين.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٦٥٠ - ٦٥٧)، وشرح الطحاوية ص (٤١٦).

(٢) في كتابه: الكبائر. وقد طبع عدة طبعات.

(٣) مدراج السالكين (١/ ٣٣٥).

س٦: ما هي الكبائر التي عدَّها صاحب: الإقناع، الشيخ/ موسى الحجاوي الحنبلي في منظومته؟

ج: هي: ست وستون كبيرة، وهذا بيانها:

١- الشرك الأكبر. ٢-قتل النفس

٣- أكل الربا. ٤- السحر.

٥- القذف. ٦- أكل أموال اليتامى بالباطل.

٧- التولي يوم االزحف في الحرب. ٨- الزنا.

٩- اللواط. ١٠- شرب الخمر

١١- قطع الطريق.

١٢- سرقة مال الغير، وأكل ماله باطلاً بالقول والفعل واليد.

١٣- شهادة الزور. ١٤- عقوق الوالدين.

١٥- الغيبة. ١٦- النميمة.

١٧- اليمين الغموس. ١٨- ترك الصلاة.

١٩- صلاة المحدث تعمدًا. ٢٠- الصلاة بغير الوقت.

٢١- الصلاة إلى غير قبلة. ٢٢- الصلاة بلا قراءة.

٢٣- قنوط الفتى من رحمة الله. ٢٤- إساءة الظن بالله.

٢٥- الأمن من مكر الله. ٢٦- قطيعة الرحم.

٢٧- الكبر والخيلاء.

٢٨- الكذب لرمي الفتنة والافتراء عمدًا على النبي ﷺ.

٢٩- قيادة ديوث. ٣٠- نكاح المحلل.

٣١- هَجْر المؤمن العدل.

٣٢- ترك الحج مع الاستطاعة، وعدم العزم على فعله.

٣٣- منع الزكاة. ٣٤- مخالفة الحق.

٣٥- منع حكم الحاكم. ٣٦- إعطاء الرشوة.

٣٧- الفطر بلا عذر في رمضان ولو يومًا واحدًا.

٣٨- القول بلا علم في الدِّين. ٣٩- سب الصحابة رضوان الله عليهم.

٤٠- الإصرار على العصيان. ٤١- ترك التنزه من البول.

٤٢- إتيان الحائض في فرجها. ٤٣- نشوز المرأة على زوجها بلا عذر.

٤٤- إلحاق المرأة بالزوج من لا يلتحق به.

٤٥- كتمام العلم على المستهدي. ٤٦- تصوير صورة ما فيه روح.

٤٧- اتيان الكاهن. ٤٨- اتيان العراف وتصديقه في قوله.

٤٩- السجود لغير الله. ٥٠- الدعاية إلى بدعة أو ضلالة.

٥١- الغلو في الغنيمة. ٥٢- النياحة على الميت.

٥٣- التطير. ٥٤- استعمال أواني الذهب والفضة.

٥٥- جور الموصي في وصيته لحرمان وارث.

٥٦- إباق العبد. ٥٧- إتيان المرأة في دبرها.

٥٨- بيع الحُرِّ. ٥٩- استحلال البيت الحرام.

٦٠ - اكتساب الربا والشهادة عليه. ٦١- نفاق ذي الوجهين.

٦٢- غش الإمام للرعية. ٦٣- إتيان البهيمة بفعل الفاحشة.

٦٤- إساءة المالك إلى القن. ٦٥- ترك الجمعة.

٦٦- دعوى الانتساب إلى من ليس بأصله.



المطلب السابع

[في الركن الثالث من أركان الدِّين: الإحسان]

ومنه: شعب الإيمان، وفيه: تسعة عشر سؤالاً، وتسع وتسعون شعبة:

س١: ما الإحسان؟

ج: هو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا جواب النبي ﷺ على سؤال جبريل عليه السلام[١]؛ ليعلم الناس كما في الإيمان والإسلام. فالإيمان مبدأ، والإسلام وسط، والإحسان كمال، ومجموعها الدِّين الخالص.

س٢: اشرح لي معنى الإحسان بأبسط من هذا؟

ج: الإحسان لفظ عام ومعناه ظاهر، وهو مطلوب من كل مؤمن بكل معانيه في كل شيء، يوجه الإنسان إليه قلبه بعمل الفكر أو الجوارح، فقد كتب الله الإحسان على كل شيء[٢]، ونوه بمحبته للمحسنين؛ جزاء الإحسان بمثله وزيادة، فلا يعمل المؤمن عملاً إلا وهو محسن له بمراقبة الله فيه، ويلزمها[٣] اتقان العمل وجودته.

س٣: كيف تقول: إنه عام، وقد خص ﷺ بالعبادة في بيانه كما تقدم؟

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٧).

(٢) كما في حديث: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء». رواه مسلم، ح (١٩٥٥) (٣/ ١٥٤٨).

(٣) كذا في الأصل والمخطوط. ولعلها: «ويلزمه».

ج: لم يخلق الله الإنسان إلا لعبادته وحده، بمعنى الخضوع والتذلل له، حبًا في كل حال، وإحسان العبادة الشرعية ـ أي: المطلوبة منه شرعًا ـ الإتيان بها على أكمل الوجوه وأتمها، ورأس إحسانها الإخلاص فيها، وهكذا يطلب منه كل عمل من حركة أو سكون بالإحسان فيه، من طريق الإخلاص ومراقبة الله فيه، وذلك بحسن النيات، فهي تجعل العادات عبادات، وقد علم النبي ﷺ سامع ذلك الحديث، الوصول إلى الإخلاص من طريقين.

س٤: ما هو الطريق الأول الموصل إلى الإخلاص؟

ج: أشار إليه بقوله ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه**»، وفي رواية: «**أن تخشى الله كأنك تراه**»[١]. أي: تقدر في نفسك على كل حال، كأنك حاضر بين يدي مولاك بمرأى منه ومسمع، فلا شك أن ذلك أدعى للإخلاص فيما تعمله، وفيما يصدر منك من حركة أو سكون، بحيث لا تترك شيئًا مما تقدر عليه من الخضوع والخشوع، وحسن السمت وحفظ القلب والجوارح، والاجتماع بظاهرك وباطنك، ولا تترك شيئًا من إتقان العمل وتحسينه، فتكون صادقًا في القول والفعل.

س٥: ما هو الطريق الثاني الموصل إلى الإخلاص؟

ج: أشار إليه بقوله ﷺ: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». أي: إذا لم تقدر على تصوير حضورك بين يدي ربك، فتقدر في نفسك مشاهدته لك، ولكل أحد من خلقه من حركة أو سكون، فهو القائم على كل نفس.

---

(١) هذه اللفظة في صحيح مسلم أيضًا، ح (١٠) (١/ ٤٠).

س٦: اذكر لي مثالاً يتضح به المعنى؟

ج: هذا معلوم بالمقايسة على عوائد الناس الجارية بينهم، فإنك ترى الباعث العظيم من إصلاح الزى الظاهري، بمراسم الأدب أمام الأمراء فمن دونهم، وكذا أمام الصالحين من احترامهم وحيائه منهم، وتحرك القلوب بذكر الله عند رؤية أهل العلم والعمل، ومن يبدو على أطرافهم معنى الخلوص والخشوع، كما جاء في وصفهم: «**الذين إذا رؤوا ذكر الله**»(١).

س٧: فماذا يترتب على الإخلاص والمراقبة؟

ج: مَن راقب الله لم يتعد حدوده، ولم يقدم على أمر حتى يعرف ما حكم الله فيه، واستحى منه تعالى في السرِّ حياءه من الناس في العلانية، ولم يعمل عملاً إلا على أحسن الوجوه وأتمها، ولو كان من أمور الدنيا؛ لأن الله ورسوله أمر بالإحسان، والنصح فيه، فصار ذلك العمل عبادة بمراقبة الله فيه.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي عن ابن عباس، كما في صحيح الجامع (٢/ ٣٥٦).

وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، قال: «**هم الذين يذكر الله لرؤيتهم**».

رواه أبو نعيم في أخبار أصفهان (١/ ٢٣١)، والواحدي والديلمي وابن مبارك في الزهد، رقم: (٢١٧). ذكر ذلك العلامة الألباني رحمه الله، وقال: «فالحديث حسن؛ لا سيما وله شاهد من حديث: عمر بن الجموح، وسعد ابن أبي وقاص، وأسماء بنت يزيد، عند أبي نعيم في الحلية (١/ ٦)». انظر: السلسلة الصحيحة، ح (١٦٤٧) (٤/ ٢٠٢).

وورد عن ابن مسعود: (إن من الناس مفاتيح لذكر الله، فإذا رؤوا ذُكر الله). رواه الإمام أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٣/ ١٧١).

وهكذا لا يزال المؤمن في عبادة حتى يلقى ربه، معروفًا بين الناس بالصدق، معدودًا عند الله من الصديقين.

س٨: ذكر بعضهم شيء من التصوف[1] في معنى الإحسان، والنفس تشتاق إليه الغريب؟

ج: حاصله: أن المراد من الإحسان، الإخلاص في الأعمال الذي هو سبب قبولها لتحقيق إرادة وجه الله فيها، وعدم الالتفات إلى غيره، ولذلك صار ركنًا من أركان الدين، فالأعمال مبنية عليه، وقبولها راجع إليه، وهو منقسم إلى مقامين:

الأول: مقام المشاهدة؛ وهو: أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدة الله بقلبه، فيتنور القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان، حتى يصير الغيب كالعيان، وهذه هي المراقبة، وهي الإخلاص وزيادة، ويقال لصاحبها: عارف.

---

(١) يطلق بعض الناس التصوف على العبادات الشرعية، المتعلقة بأعمال القلوب وتزكية النفوس، بالإخلاص والمراقبة والزهد في الدنيا، كما هنا.

والصحيح: أن تلك العبادات إذا كانت قائمة على الاتباع للدليل من الكتاب والسنة، منضبطة بضوابط الشريعة، فهي جزء من الشريعة، وليست من التصوف في شيء؛ لأن التصوف منهج بدعي مخالف للكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها.

وهم يقررون هذه المخالفة في مؤلفاتهم؛ ومن ذلك ما ذكره المصنف ـ رحمه الله تعالى عنهم من التفريق بين الشريعة والحقيقة، في كتابه الممتع: التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق.

ولذا فلا يجوز لنا أن نسمي العبادات الشرعية باسم مبتدع، مخالف في اسمه ومسماه للشريعة المحمدية. والله تعالى أعلم.

والثاني: مقام الإخلاص فقط؛ وهو: أن يعمل على استحضار مشاهدة الله إياه، واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه، فهو مخلص لله تعالى؛ لأن ذلك يمنعه من الالتفات إلى غيره، وإرادته بالعمل يوجب له الخشية والخوف التعظيم.

س٩: هل الإحسان من أعمال القلوب؟

ج: الإحسان عام بمعنى اتقان العمل وجودته، فيدخل في الأعمال الظاهرية والباطنية، ورأس إحسانها الإخلاص فيها، كما تقدم.

والإخلاص من الأعمال القلبية، وقد قال سهل بن عبد الله: «ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب»(١).

س١٠: ما هي الأعمال الباطنية، وماذا لها من المزية؟

ج: هي: أعمال القلوب، وقد أشار إلى مزيتها في قوله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(٢). ومن عرفها علم

---

(١) انظر: مدراج السالكين (٢/ ٩٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم، ح (٢٥٦٤) (٤/ ١٩٨٧)، من حديث: أبي هريرة، بلفظ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم**».
وفي رواية: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».
وفي الاستدلال بهذا الحديث على الأعمال الباطنية فقط نظر؛ لأن الحديث نص على أن النظر إلى القلوب وإلى الأعمال، والأعمال لفظ مطلق يشمل الأعمال الظاهر والأعمال الباطنة، أما الذي لا ينظر الله إليه، فهي الصور والأجساد والأموال، والأعمال الظاهرة ليست داخلة فيها. فليتنبه.

أنها هي روح الأعمال الظاهرية، وأن فرضها آكد من فرض أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحب أعمال الجوارح.

س١١: ما هي أعمال القلوب؟

ج: هي كثيرة؛ ومنها: الإخلاص الذي هو غاية الإحسان، ومنها: المحبة لله والتوكل عليه، والإنابة، والخوف والرجاء، والصبر على أوامره ونواهيه وأقداره، والرضا به وله وفيه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والإخبات إليه والطمأنينة به، والتفكير في آياته ومخلوقاته ونحو ذلك.

والخطر عظيم في أضدادها، فضد الإخلاص الرياء والسمعة والنفاق، وقد فصلها صاحب: إحياء علوم الدين[(١)].

---

(١) ينصح بالرجوع إلى تهذيبه؛ «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدِّين»، لمحمد جمال الدين القاسمي، أو كتاب: «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامه، و«المنهاج» لابن الجوزي؛ لأنهم حاولو استخلاص الزبدة المفيدة من إحياء علوم الدِّين، بحيث يخلو من مفاسده ولا يخل بفوائده؛ لأن كتاب الإحياء فيه فوائد مفيدة، لكن فيه مواد مذمومة فاسدة؛ من كلام للفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد. انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٥).

إضافة إلى ما فيه من أحاديث موضوعة، وأخبار مكذوبة، وقصص باطلة عن بعض العلماء والزهاد، وما فيه من إسرائيليات منكرة، وعقائد كلامية، وتصوف غالٍ في بعض الجوانب. ومع أن أصحاب الكتب السابقة الذكر، لم يسلموا بالكلية من هذه المفاسد، إلا أنهم قللوا منها كثيرًا، مما سهل الاستفادة من الجوانب الإيجابية في الكتاب. والله المستعان، ورحمة الله على الجميع.

وأولى منها: الرجوع إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، المتعلقة بأعمال القلوب؛ كالعبودية والتحفة العراقية، وأمراض القلوب وشفائها، وتزكية النفوس، وغيرها. =

س١٢: هل يحبط العمل الرياء؟

ج: إن شارك الرياء العمل من أصله، فالنصوص الصحيحة على بطلانه، وإن كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه خاطر الرياء ودفعه لم يضره بلا خلاف، وإن استرسل معه فخلاف، رجح أحمد أن عمله لا يبطل بذلك، كما قاله ابن رجب.

وقال: «الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض صلاة وصوم، وقد يصدر في نحو صدقة وحج، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط»[(١)]. انتهى.

س١٣: هل تبطل العبادة إذا خالط نيتها شيء غير الرياء؟

ج: قال في شرح الاقناع والمنتهى: «إنه متى نوى مع نية الصوم هضم الطعام، أو مع نية الحج التجارة، أو رؤية البلاد النائية، إن ذلك ينقص الأجر، وهذا مع عدم تمحض النية كلها لذلك، فإن تمخضت لذلك فعبادة باطلة»[(٢)].

وقال الإمام أحمد: «التاجر والمستأجر والمكارى، أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا

= وكتب ابن القيم؛ مثل: إغاثة اللهفان، والجواب الكافي، ومدارج السالكين.
وكذلك مؤلفات ابن رجب، وأمثالهم من المعروفين بصحة المورد وسلامة المنهج. والله الموفق.

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩).

(٢) انظر بنحوه: شرح منتهى الإرادت (١/ ١٧٥)، والإقناع في فقه الإمام أحمد (١/ ١٠٦).

يخلط به غيره»(١).

س١٤: كيف تقول فيما رُوي عن مجاهد، أنه قال في حج الجمّال وحج الأجير، وحج التاجر هو تام، ولا ينقص من أجورهم شيء؟

ج: قال بعضهم: إنه محمول على أن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب، ففرق بين من يأخذ المال ليحج، وبين من يحج ليأخذ المال.

س١٥: هل ينقص العمل الصالح بثناء الناس إذا فرح به؟

ج: لا ينقص بذلك؛ فقد جاء في حديث أبي ذر عن النبي ﷺ، أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير يحمده الناس عليه؟ فقال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»(٢). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، الرجل يعمل فيسره، فإذا اطلع عليه أعجبه، فقال: «**له أجران؛ أجر السِّرِّ وأجر العلانية**»(٣).

---

(١) ينظر جامع العلوم والحكم (١/ ٨٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة، باب: إذا أُثني على الصالح، ح (٢٦٤٢) (٤/ ٢٠٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث: أبي هريرة في كتاب: الزهد، باب: (٤٩)، عمل السرِّ، ح (٢٣٨٤) (٤/ ٥٩٤)، وقال: «حسن غريب». وابن ماجه في الزهد، باب: الثناء الحسن، ح (٤٢٢٦) (٢/ ١٤١). وإسناده ضعيف.
قال الترمذي في السنن (٤/ ٥٩٤، ٥٩٥): «وقد فسر بعض أهل العلم هذا الحديث، فقال: إذا أطُّلع عليه أعجبه، فإنما معناه: أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير؛ لقول النبي ﷺ: «**أنتم شهداء الله في الأرض**». فيعجبه ثناء الناس عليه، ولهذا لما يرجو بثناء الناس عليه. فأما إذا أعجبه ليَعلم الناس فيه الخير؛ ليكرم على ذلك ويعظم عليه، فهذا رياء.
وقال بعض أهل العلم: إذا اطُّلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله، فيكون له مثل =

س ١٦: هل يضر العامل التحدث بعمله إذا كان له قصد حسن؟

ج: لا يضره، بل قد يثاب عليه إذا قصد به ترغيب الناس في الإقتداء به، أو التحدث بنعمة الله تعالى شكرًا، أو نحو ذلك، ولهذا ترجم بعض العلماء لأنفسهم، مثل: الجلال السيوطي وغيره.

وليحذر أن يكون من باب تزكية النفس، فقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[1]. وقالت الأدباء: «لا ينبغي أن يمدح الإنسان نفسه أو ما يتعلق به». ولهم فيه أمثال شهيرة، ولكن قال بعضهم: «ينبغي مدح المؤلف كتابه كما يصف الحكيم دواءه لينتفع به».

= أجورهم، فهذا له مذهب أيضًا».

(١) سورة النجم، آية: (٣٢).

مبحث: شعب الإيمان

وهي: تسع وستون شعبة

س١٧: من هو المحسن البالغ نهاية الإحسان؟

ج: هو المؤمن حقًّا، وهو الذي كملت فيه شعب الإيمان(١).

وهي بضع وستون ـ أو بضع وسبعون ـ شعبة بالضم، أي: قطعة، والمراد: الخصلة أو الجزء.

س١٨: ما بيانها وتعدادها؟

ج: هو في هذا البرنامج، كما عدَّها الحافظ ابن حجر في الفتح(٢)، وتبعه السيوطي.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد لخصت مما أورده ما أذكره، وهو أن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن».

---

(١) قال في هامش الأصل: قوله: «شعب الإيمان»، شبه الإيمان بشجرة ذات أغصان، وشعب: جمع شعبة؛ غصن الشجرة وفرع كل أصل، قال بعضهم: إن بيانها واجب على العلماء، وتعلمها فرض على الجهلاء، وقد أفردها بعضهم بالتأليف؛ منهم: البيهقي له كتاب: «شعب الإيمان»، واختصره القزويني، واختصر منه صاحب كتاب: «غالية المواعظ» ما فيه الكفاية.
وقد استدل في كل شعبة بآية أو حديث كما عمل ابن حبان، وكذا عَدَّها غيرهم، كـ: الحليمي من الشافعية في منهاجه، وكبعض المتأخرين. ولابد من وقوع اختلاف في العدد والتعيين؛ لاندراج بعضها في بعض، وعلى كل فهو عمل مبرور.
قلت: كتاب المنهاج في شعب الإيمان هو الأصل لكتاب البيهقي: شعب الإيمان.

(٢) (١/ ٦٨).

فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة.

١- الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده؛ بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه(١).

٢- الإيمان بملائكته.

٣- وكتبه.

٤- ورسله.

٥- والقدر خيره وشره.

٦- الإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه: المسألة(٢) في القبر والبعث والنشور، والحساب والميزان والصراط، والجنة والنار.

٧- محبة الله.

٨- الحب والبغض فيه.

٩- محبة النبي ﷺ واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته.

١٠- الإخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق.

١١- التوبة.

---

(١) وأنه المعبود بحق دون سواه.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: السؤال.

١٢- الخوف.

١٣- الرجاء.

١٤- الشكر.

١٥- الوفاء.

١٦- الصبر.

١٧- الرضا بالقضاء.

١٨- التوكل.

١٩- الرحمة.

٢٠- التواضع، ويدخل فيه: توقير الكبير ورحمة الصغير.

٢١- ترك الكبر والعجب.

٢٢- ترك الحسد.

٢٣- ترك الحقد.

٢٤- ترك الغضب.

وأعمال اللسان، وتشتمل على سبع خصال:

٢٥- التلفظ بالتوحيد.

٢٦- تلاوة القرآن.

٢٧- تعلم العلم.

٢٨- تعليمه.

٢٩- الدعاء.

٣٠- الذكر، ويدخل فيه الاستغفار.

٣١- اجتناب اللغو.

وأعمال البدن، وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، منها ما يختص بالأعيان؛ وهي: خمس عشرة خصلة:

٣٢- التطهير حسًا وحكمًا، ويدخل فيه اجتناب النجاسات.

٣٣- ستر العورة.

٣٤- الصلاة فرضًا ونفلاً.

٣٥- الزكاة كذلك.

٣٦- فك الرقاب.

٣٧- الجود، ويدخل فيه: إطعام الطعام وإكرام الضيف.

٣٨- الصيام فرضًا ونفلاً.

٣٩- الحج.

٤٠- العمرة كذلك.

٤١- الطواف.

٤٢- الاعتكاف.

٤٣- التماس ليلة القدر.

٤٤- الفرار بالدِّين، ويدخل فيه: الهجرة من دار الشرك.

٤٥- الوفاء بالنذر.

٤٦- التحري في الأيمان وأداء الكفارات.

ومنها ما يتعلق بالاتباع؛ وهي: ست خصال:

٤٧- التعفف بالنكاح.

٤٨- القيام بحقوق العيال.

٤٩- بر الوالدين، وفيه: اجتناب العقوق.

٥٠- تربية الأولاد.

٥١- صلة الرحم.

٥٢- طاعة السادة والرفق بالعبيد.

ومنها ما يتعلق بالعامة؛ وهي: سبع عشرة خصلة:

٥٣- القيام بالإمرة مع العدل.

٥٤- متابعة الجماعة.

٥٥- طاعة أولى الأمر.

٥٦- الإصلاح بين الناس، ويدخل فيه: قتال الخوارج والبغاة.

٥٧- المعاونة على البر، ويدخل فيه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥٨- إقامة الحدود.

٥٩- الجهاد، ومنه: المرابطة.

٦٠- أداء الأمانة، ومنه: أداء الخمس.

٦١- القرض مع وفائه.

٦٢- إكرام الجار.

٦٣- حسن المعاملة، وفيه: جمع المال من حله.

٦٤- إنفاق المال في حقه، ومنه: ترك التبذير والإسراف.

٦٥- رد السلام.

٦٦- تشميت العاطس.

٦٧- كف الأذى عن الناس.

٦٨- اجتناب اللهو.

٦٩- إماطة الأذى عن الطريق.

قال الحافظ ابن حجر: «فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها تسع وسبعين خصلة؛ باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر»[1]. والله أعلم.

س١٩: قد انتهى الكلام على الدِّين، ومداره على الأركان الثلاثة، الإسلام والإيمان والإحسان، فأين ما ذكره الإمام النووي من أمور الدِّين؟

ج: أمور الدِّين أربعة على ما قاله النووي، وذكرها بعضهم تبعًا له،

(١) فتح الباري (١/ ٦٨).

وأفردها بعضهم بتأليف، وهي:

١- صدق القصد.

٢- وفاء العهد.

٣- اجتناب المنهي عنه.

٤- صحة الاعتقاد.

ونظمها بعضهم في بيت مفرد:

أُمُورُ الدِّينِ صِدْقُ قَصْدٍ وَفَا العَهْدِ وَتَرْكٌ لِـمَنْهي كَذَا صِحَةُ العَقْـدِ

وهي في الحقيقة خلاصة شعب الإيمان من مقام الإحسان؛ فإن الشعب تنحصر في صحة الاعتقاد، وحسن المعاشرة، وتهذيب النفس.



الباب الثالث: [في معرفة النبي ﷺ]

وفيه: أربعة مطالب:

المطلب الأول
في أهم ما ينبغي معرفته مما يتعلق بجنابه الشريف

وفيه: سؤالان، وأربعة مباحث:

س١: كيف يصل الإنسان إلى معرفة نبيه ﷺ، وهو مذكور في الشهادة التي يدخل بها في الإسلام؟

ج: من سؤال أهل العلم والنظر في كتب السير والشمائل، وربما خفي على بعض الناس بعض خصائصه وحقوقه، ولم يميزها عن حقوقه تعالى، ولم يعرف خلاصة سيرته، وظهور أمره ﷺ

س٢: اذكر لنا أهم ما ينبغي معرفته مما يتعلق بجنابه ﷺ؟

ج: نذكر هنا أمورًا مهمة: نسبه، ومولده، ومنشأه، ومبعثه، ودعوته، إلى أن دعاه ربه، في أربعة مباحث:

المبحث الأول: نسبه الشريف

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، ابن كلاب بن مرة بن كعب، بن لؤي بن غالب بن فهر، بن مالك بن النضر ابن كنانة، بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن النضر، بن نزار بن معد بن عدنان[١].

إلى هنا اتفق النسابون واختلفوا فيما فوق عدنان، ولا خلاف في أنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهما، كما جاء في صحيح مسلم، عن واثلة بن الأسقع، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريش من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم**»[٢]. وفي رواية: «**فأنا خيار من خيار**»[٣].

****

(١) جوامع السيرة لابن حزم، ص(٢)، والسيرة النبوية للذهبي ص(١)، والفصول في سيرة الرسول، للحافظ ابن كثير، ص(٨٣).

(٢) رواه مسلم في: كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ ح (٢٢٧٦)(٤/ ١٧٨٢).

(٣) أخرج هذه الرواية الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٥٥)، والأوسط (٦/ ١٩٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٨٣)، وبين ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٣)، أن هذه الزيادة لا تثبت.

المبحث الثاني: مولده ومنشأه

ولد ﷺ في عام الفيل، سنة: (٥٧١ميلادية)[١]، بمكة المشرفة، بالشعب المشهور[٢]، وكفله جده عبد المطلب، ثم عمه أبو طالب.

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور/ أكرم ضياء العمري، ص (٩٥)، ط: السادسة (١٤١٥هـ).

(٢) تحديد المكان الذي ولد فيه النبي ﷺ لا يعرف له أساس صحيح يعتمد عليه فيه، وأول من حدده ابن إسحاق، المتوفى سنة: (١٥٢هـ)، وتبعه بعد ذلك أهل السير؛ كالطبري في التاريخ (١/ ٤٥٣).

وفي إسناده إلى ابن إسحاق عدة علل:

أ- فيه: حميد وهو ابن يعقوب بن كاسب، وهذا منكر الحديث، كما في الكاشف للذهبي، (٣/ ٢٦١).

ب- وفيه: سلمة ـ وهو ابن رجاء ـ التميمي، لينه ابن معين، وقال ابن عدى: «حدث بأحاديث لا يتابع عليها»الكاشف (١/ ٣٨٣).

ج- أما ابن إسحاق فلم يذكر له إسنادًا، ومعروف أنه بينه وبين الحادثة ما لا يقل عن قرن ونصف، بل ساقه بصيغة التمريض،«قيل». وهذا يدل على عدم ثبوته عنده رحمه الله.

ولذا فقد أنكر عدد من العلماء والمؤرخين هذا التحديد، وأوردوا الخلاف في تحديد مكان المولد، هل هو في مكة، أو بالأبواء، أو بعسفان، أو بالردم؟ وإذا كان بمكة هل هو بالشعب، أو المحصب، أو بغيرهما.. الخ. مما ذكروه. مما يزيد مسألة التحديد ضعفًا وإنكارًا.

انظر: بعض ما أشير إليه في سبيل الهدى والرشاد (١/ ٣٧) للصالحي، وهو من أوسع المصادر في السيرة.

وممن أنكر ذلك: العياشي المغربي، المتوفى سنة: (١٠٩١هـ)، في رحلته الشهيرة إلى مكة (١/ ٢٢٥)، فقد قال بعد أن ذكر ما وقع في كتب السيرة من الاختلاف في تحديد مكان مولده ﷺ: «والعجيب أنهم عينوا محلاً من الدار مقدار مضجع، وقالوا له: موضع ولادته ﷺ، ويبعد عندي كل البعد تعيين ذلك من طريق صحيح أو ضعيف؛ لما تقدم من =

ونشأ على الصدق والأمانة، حتى لقبه الناس: بالأمين. وزوجه عمه خديجة بنت خويلد بحضور بني هاشم ورؤساء مضر، فخطب فيهم (فقال)[1]: «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل

= الخلاف في كونه في مكة أو غيرها».

ثم قال رحمه الله: «يبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار، بعد مرور الأزمان والأعصار وانقطاع الآثار، والولادة وقعت في زمن الجاهلية، وليس هناك من يعتني بحفظ الأمكنة، سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك، وبعد مجيء الإسلام فقد علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بالتقييد بالأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي؛ لصدق اعتنائهم - رضي الله عنهم - لما هو أهم من حفظ الشريعة، والذب عنها بالسنان واللسان، وكان ذلك هو السبب في خفاء كثير من الآثار الواقعة في الإسلام...»الخ.

وأكد ما ذكره العياشي الإمام ابن عبد السلام الدرعي المغربي، في رحلتيه الشهيرتين، انظر ص: (١٣٨)، تلخيص المؤرخ الأديب/ حمد الجاسر رحمه الله.

وهذا ما أكده الجاسر - أيضًا - بقوله: «وهذا الاختلاف في الموضع الذي ولد فيه النبي ﷺ، يحمل على القول بأن الجزم بأن الموضع المعروف عند عامة الناس: باسم المولد، لا يقوم على أساس تاريخي صحيح». من مجلة العرب (٣/ ٤) ص (١٧)، عدد: رمضان وشوال (١٤٠٢هـ).

وعلى فرض ثبوت الموقع الذي ولد فيه النبي ﷺ، فإنه لا يجوز بأي حال من الأحوال، أن يتخذ مكانًا مقدسًا للتعبد والتبرك؛ لعدم فعل النبي ﷺ ذلك، ولا أحد من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا التابعين ولا الأئمة المعتبرين، والخير كل الخير في اتباع من سلف، والشر كل الشر في ابتداع من خلف.

ينظر: البلد الحرام فضائل وأحكام، هامش ص (٨٨، ٩٠).

(١) في هامش الأصل: قوله: «فقال»: هكذا أورد هذه الخطبة أبو الحسين أحمد بن فارس، صاحب: الجمل في اللغة. وفي بعض الروايات أنه ﷺ أصدقها عشرين بكرًا، وأنه أتى خاطبًا مع عمه حمزة، فقال عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى: «هو الفحل لا يقذع =

وضئضئ معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسُوَّاس حرمه، وجعل لنا بيتًا محجوجًا، وحرمًا آمنًا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله، لا يوزن به رجل إلا رجح به، وإن كان في المال قلَّ، فإن المال ظل زائل وأمر حائل، و محمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل»[1].

فتزوجها فبقيت عنده قبل الوحي خمس عشرة سنة، وماتت ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر، وقبل موتها مات أبو طالب بثلاثة أيام، وقد نصراه كثيرًا.

****

= أنفه». ولا مانع من حصول ذلك كله. والله أعلم.

(١) ينظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٧٤)، الطبعة الأولى (١٣٨٩)، دار: الوعي بحلب.

المبحث الثالث: مبعثه

كان ﷺ قبل البعثة مشتغلاً بالتجارة، ميالاً للانفراد عن الناس؛ للتعبد في جبل حراء، حتى نزل عليه جبريل فيه، بأول سورة العَلق من القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]. وقد ارتاع من روية الملك وكيفية الوحي، فجاء إلى خديجة رضي الله عنها، فأخبرها بذلك وبما حصل له من الروع، فقالت له: «والله، ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَّل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». وفي رواية: «وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة». وانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ـ وكان شيخًا كبيرًا ممن تنصر وكتب من الإنجيل ـ فقالت له: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فأخبره ﷺ بما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني كنت فيها جذعًا، يا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أو مخرجي هم؟!**»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. كما في البخاري[2].

بعثه الله على رأس الأربعين بالرسالة إلى كافة العالمين، بدين الفطرة التي فطر الناس عليها، بعبوديته وتحرير نفوسهم من غيره[3].

---

(١) سورة العلق، آيات: (١-٥).

(٢) كتاب: بدء الوحي، باب: (٣) ح (٣) الفتح (١/ ٣٠)، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب: بدء الوحي، ح(١٦٠) (١/ ١٤١).

(٣) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٥١) فما بعدها، والفصول لابن كثير ص (١٥) فما بعدها.

المبحث الرابع: دعوته وهجرته

أقام ﷺ بمكة (١٣) سنة، يدعو الناس ويسير إلى البوادي، ومواسم العرب لدعوة القبائل، ولقي في سبيل الدعوة أذى كبيرًا، حتى اضطرته قريش إلى المهاجرة من مكة المشرفة، حاصروه وأهله في الشعب ثلاث سنين، ثم قرروا في دار الندوة على أن يقتله أنفار من قبائل شتى، فيكون دمه هدرًا بين القبائل، فخرج من الشعب من حيث لا يشعرون، فهاجر إلى المدينة المنورة، وقد سبقت مبايعة الأنصار من الأوس والخزرج له سرًا على نصرته، بحضرة عمه العباس في الموضع القريب من عقبة منى، المعروف بمسجد البيعة، وعليه حجر مكتوب بالكوفي، فلما وصل إليهم نصروا، وبذلوا في سبيل نصرته نفوسهم وأموالهم مع المهاجرين.

أقام بالمدينة عشر سنين وهو يجهز السرايا، وعددها (٣٥) سرية، ويقود الغزوات وهي تسع عشر غزوة، وبعضهم يعدها (٢٧)، حتى فتح مكة المشرفة في السنة الثامنة من الهجرة، فكسر الأصنام التي كانت في الكعبة، وعددها كما قيل: (٣٦٠) صنمًا، لجميع القبائل، وقطع جراثيم الوثنية من قلوبهم ومن عاداتهم، بدعوته وعلو كلمته في تلك المدة، إلى أن حج في السنة العاشرة من الهجرة حجة الوداع، فنزل عليه بعرفة، قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[1].

فخطب الناس وقال: «**هل بلغت؟**»، قالوا: نعم، قال: «**اللهم فاشهد**»، رافعًا

---

(١) سورة المائدة، آية: (٣). والحديث أخرجه البخاري في الإيمان، ح(٤٥) (١/ ٢٥)، ومسلم في التفسير، ح (٣٠١٧) (٤/ ٢٣١٢).

بصره إلى السماء مشيرًا بسبابته[١]، فعاد إلى المدينة المنورة وقد أكمل له الدين، وقام بواجب التبليغ والتبيين، فاختار له ما عنده، فألحقه بأنبيائه ورسله، فتوفي يوم الاثنين، ثالث ربيع الأول، من السنة الحادية عشرة من الهجرة[٢].



---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الحج، باب: الخطبة أيام منى، ح (١٦٥٤) (٢/ ٦٢٠)، ومسلم في الحج، باب: حجة النبي ﷺ، ح (١٢١٨) (٢/ ٨٩٠).

(٢) ينظر: الفصول من سيرة الرسول ﷺ، (٢١٦، ٢٢٠).

المطلب الثاني
[في خصائصه ﷺ]

وفيه: خمسة أسئلة، وثماني خصوصيات:

س١: ما هي خصائصه عليه الصلاة والسلام؟

ج: هي: ما خص الله به نبيه وميزه بها عن غيره، وبعضها من معجزاته، وهي كثيرة، وأفردها العلماء بالتصنيف، وأفردوا لها بابًا في بعض كتب الفقه، وأدخلوا بعضها في كتب العقائد.

س٢: اذكر لنا أهمها؟

ج: نذكر منها ثمانية أشياء:

١- رسالته إلى كافة الخلق من الإنس والجن بالإجماع، والملائكة [في][(١)] أحد القولين، قال تعالى: ﴿...لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[(٢)]. وفي حديث مسلم: «**بُعثت إلى الخلق كافة**»[(٣)].

٢- كونه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده، ولا ينافي ذلك نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان؛ لأنه يحكم بشريعة نبينا ﷺ الناسخة لجميع الشرائع، والكافلة بحاجات البشر دينًا ودنيا، ولذلك ختمت النبوة.

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) سورة الفرقان، آية: (١).

(٣) في كتاب: المساجد مواضع الصلاة، ح (٥٢٣) (١/ ٣٧١).

٣- أفضليته ﷺ على الخلق حتى الأنبياء، وما ورد من النهي عن التفضيل بينه وبين الأنبياء، فالمراد: ما يؤدي إلى التنقيص[١].

٤- أن أمته أفضل الأمم؛ حيث كانت شهداء عليهم بتبليغ الرسل، ومعصومة من الاجتماع على ضلالة، كما أن أصحابه خير القرون كما جاء في الحديث[٢].

٥- حديثه وما فيه من جوامع الكلم؛ أي: الألفاظ القليلة المفيدة للمعاني الكثيرة، كما في حديث مسلم وغيره: «**أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصارًا**»[٣]. وكما في الحديث الآخر: «**أوتيت القرآن ومثله**»[٤]. أي: السنة، فلها حكم القرآن في الطاعة والإيمان، خصوصًا المتواتر[٥]، فلا ينطق عن الهوى.

---

(١) ينظر: شرح الطحاوية (١٦٩، ١٧٣).

(٢) في البخاري كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور، ح (٢٥٠٩) (٢/ ٩٣٨)، ومسلم في الفضائل، ح(٢٥٣٣) (٤/ ١٩٦٣).

(٣) الشطر الأول من الحديث: «**أعطيت جوامع الكلم**». في الصحيحين؛ رواه البخاري في الجهاد والسير، باب: قول النبي ﷺ: «**نصرت بالرعب**». ح(٢٨١٥)(٣/ ١٠٨٧). ومسلم في المساجد، ح(٥٢٣)(١/ ٣٧٠).

أما لفظ ما ذكره المصنف: فهو عند الدارقطني ح(٨) (٤/ ١٤٤)، ومصنف عبد الرازق ح (١٠١٦٣) (١٠/ ١١٣) وابن أبي شيبة ح (٣١٧٧٢) (٦/ ٣٢٤). وقد ضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع، ح(١٠٤٨) (١/ ٣٠١)، والضعيفة ح (٢٨٦٤).

(٤) رواه أبو داود في السنة، باب: في لزوم السنة (٤٦٠٦) (٤/ ٢٠٠)، وأحمد في المسند (٤/ ١٣٠)، والبيهقي (٩/ ٣٣٢)، وذكره الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح(٤٦٠٤).

(٥) لا وجه لتخصيص المتواتر هنا. بل كل ما ثبت عنه ﷺ فالواجب الطاعة والإيمان.

٦- الشفاعة العظمى في موقف القيامة، وهي المقام المحمود؛ لأنه يحمد فيه الأولون والآخرون، وهذه الشفاعة التي خص بها نبينا ﷺ من بين سائر الأنبياء هي العامة، فإنها هي دعاؤه ﷺ لربه في الفصل بين العباد بالحساب؛ لإراحتهم من هول الموقف، فهو أول شافع، وأول مشفع، وأول مَن يقرع باب الجنة.

أما الشفاعة الخاصة للمذنبين المسلمين وأهل الكبائر منهم، فمما يؤمن بها أهل الدِّين والسنة، ولكنها غير خاصة به ﷺ.

فقد ورد عنه يشفع يوم القيامة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء، كما رواه ابن ماجه والبيهقي، عن عثمان بن عفان(١).

وقد جهل بعض الناس؛ فاعتقد أن من اتخذ وليًا أو شفيعًا يشفع له وينفعه عند الله، كما تكون خواص الملوك والولاة تنفع من والاهم، ولم يعلم أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن ارتضى قوله وعمله من أتباع الرسل، فهو سبحانه المالك للشفاعة، والذي تطلب منه لا من الشافعين. نسأله تعالى أن لا يحرمنا شفاعته ﷺ.

٧- زيارته ﷺ في حياته بالهجرة إليه، لتلقى أمور الدِّين عنه، والقيام

---

(١) رواه ابن ماجه في الزهد، باب: في ذكر الشفاعة (٤٣١٣) (٢/ ١٤٤٣)، وفيه: عنبسة بن عبدالرحمن، كان يضع الحديث، ولذلك ضعفه العراقي في تخريجه الإحياء (١/ ٢١)، وحكم عليه الألباني بالوضع في الضعيفة (٢١١١)، وقد ورد عند البخاري في التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ح(٧٤٣٩)، الفتح (١٣/ ٤٢٠، ٤٢١)، من حديث: أبي سعيد الخدري في حديث طويل، وفيه: «**فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون**».

بمصالحه، والتوبة على يديه، وطلب الاستغفار منه، أي: دعاؤه للمذنبين بالمغفرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[(١)].

وكانت الهجرة واجبة قبل الفتح من مكة.

وكذا زيارة قبره الشريف تستحب للرجال والنساء[(٢)]، كما عدَّ فقهاؤنا ذلك في الخصائص؛ لأنه يكره زيارة النساء[(٣)] لغير قبره ﷺ.

---

(١) سورة النساء، آية: (٦٤).

(٢) تستحب زيارة قبر النبي ﷺ من غير شدِّ رحل إليها، كأن يكون مقيمًا بالمدينة أو قادمًا لزيارة مسجده ﷺ. أم شدُّ الرحل بقصد زيارة القبر فقط، فالصحيح أنه لا يجوز؛ لقوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**». رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه، منها: مسجد مكة ح (١١٨٩)، الفتح ح (٣/ ٦٣)، ومسلم في الحج، ح (٨٢٧) (٢/ ٩٧٦).

أما زيارة النساء للقبور: فالأصل فيها المنع؛ لقوله ﷺ: «**لعن الله زوارات القبور**». رواه الترمذي في الصلاة، ح (٣٢٠)(٢/ ١٣٦)، وقال: «حديث حسن». ورواه النسائي في الجنائز، ح (٢٠٤٣)(٤/ ٩٤)، وابن ماجه في الجنائز ح (١٥٤٦)(١/ ٥٠٢)، من حديث: ابن عباس وأبي هريرة، ومن حديث: حسان بن ثابت ح (١٥٧٤). قال في الزوائد: «اسناد حديث: حسان به ثابت صحيح، ورجاله ثقات». وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٤٩٨٥) (٥/ ٢٣).

ولم يرد عن النبي ﷺ ما يدل على جواز زيارة النساء لقبره خاصة؛ لعدم ورود الدليل المخصص، فيبقى الحكم على عمومه. والله اعلم.

مع أن هناك خلافًا بين العلماء في حكم زيارة النساء للقبور، والراجح: المنع كما حقق ذلك العلامة فضيلة الشيخ/ بكر أبو زيد، في رسالته: جزء في زيارة النساء للقبور، طبعة الرشد. والله أعلم.

(٣) ينظر: المغني والشرح الكبير (٢/ ٤٣٠)، ولم يذكر فيه استثناء القبر النبوي.

قال ابن نصر الله: «من لازم استحباب الزيارة استحباب شد الرحل إليها».

وقال بعضهم: إن ذلك غير لازم، والمستحب شد الرحل بنية الصلاة في المسجد، ثم زيارة القبر الشريف بعد تحية المسجد، فالصلاة تضاعف فيه إلى ألف، ولو نذر شد الرَّحل إلى المسجد النبوي وجب عليه وفاء نذره.

س٣: هل يحصل بنية شيئين فضلهما كالصلاة في المسجد والزيارة؟

ج: قال بعض الشافعية: ينوي مع الزيارة التقرب بشد الرحال للمسجد النبوي والصلاة فيه[١]؛ لحثه ﷺ، ففيه تعظيمه ـ أيضًا ـ بامتثال أوامره.

والمراد من حديث: «**لا تعمله حاجة إلا زيارتي...**»[٢]. اجتناب قصد حاجة لم يدع الشارع إليها، فيسن مع ذلك الاعتكاف فيه أيضًا، والتعليم والتعلم، وذكر الله تعالى، وإكثار الصلاة والسلام على النبي ﷺ في طريقه إلى غير ذلك.

---

(١) المشروع الموافق لهدى النبي ﷺ، هو شدُّ الرَّحل بقصد زيارة المسجد النبوي والصلاة فيه، كما هو نص الحديث المتقدم.
أما شدُّ الرحل من أجل زيارة القبر، فهذا لا يجوز؛ لمخالفته النهي النبوي الصحيح.
أما أن يجمع بين النيتين، فالصحيح أنه لا يجوز، وإنما عليه أن ينوي زيارة المسجد النبوي، ثم إذا وصل إلى هناك فله أن ينوي ويزور قبر المصطفى ﷺ.

(٢) نص الحديث المروى: «**من جاءني زائرًا لا تعمله حاجة إلا زيارتي، كان حقًا على أن أكون شفيعًا له يوم القيامة**». رواه الطبراني في الكبير والأوسط، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢): «وفيه: مسلمة بن سالم وهو ضعيف». وقال عنه ابن عبد الهادي في الصارم المنكى ص (٤٠): «ضعيف الإسناد، منكر المتن، لا يصح الاحتجاج به، ولا يتخذ دليلاً لشد الرحال إلى القبر». ثم ليس في الحديث ذكر للقبر، ولا لزيارته بعد موته ﷺ.

وقد ذكر الغزالي في الحث على الاستكثار من النية في جميع الأعمال، وأنه يمكن أن ينوى الداخل للمسجد ثمانية أمور:

١ - أن يعتقد أنه بيت الله، وأن داخله زائر الله.

٢ - نية المرابطة وانتظار الصلاة الأخرى.

٣ - الاعتكاف بمعنى كف السمع والبصر والأعضاء.

٤ - الخلو لجمع الفكر.

٥ - التجرد للذكر وسماعه.

٦ - قصد إفادة علم، وأمر بمعروف أو نهي عن منكر.

٧ - ترك الذنوب حياء من الله، بحسن نيته حتى يظهر عليه أثر ذلك، فيستحيي من رآه أن يقارف ذنبًا.

٨ - استفادة أخ في الله فإنه غنيمة وذخيرة في الدارين.

س٤: ماذا ينبغي للزائر؟

ج: ينبغي: له الاحتياط لدينه بجعل زيارته شرعية، والمحافظة على صلواته في طريقه، فإن الصلاة الواحدة فريضة والزيارة مستحبة، بشرط عدم ضياع فرض أو ارتكاب منكر، أو التعرض لتهلكة أو خطر؛ كالسفر في شدة الحرِّ، فليس للزيارة وقت محدد كالحج.

فقد ورد عنه ﷺ: **«لا تجعلوا قبري عيدًا»**[1]. **«ولا تجعلوا قبري وثنًا**

---

(١) رواه أبو داود في المناسك، باب: في زيارة القبور ح (٢٠٢٦)، عون المعبود (٦/ ٣١)، =

يعبد»(١). «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٢). وكان ذلك من آخر كلامه عليه أفضل الصلاة والسلام.

٨- التوسل به ﷺ في حياته(٣) في حالة الاستسقاء، كما قال فيه أبو طالب:

= وأحمد في المسند (٢/ ٣٦٧)، من حديث: أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**». قال في عون المعبود (٦/ ٣١): «والحديث حسن جيد الإسناد، له شواهد كثيرة يرتقى بها إلى درجة الصحة. قاله الشيخ العلامة/ محمد بن عبد الهادي رحمه الله، وقال: والحديث دليل على منع السفر لزيارته ﷺ؛ لأن المقصود منها هو الصلاة والسلام عليه، والدعاء له ﷺ، وهذا يمكن استحصاله من بعد كما يمكن من قرب، وأن من سافر إليه وحضر من ناس آخرين فقد اتخذوا عيدًا، وهو منهي عنه بنص الحديث، فثبت منع شد الرحل لأجل ذلك بإشارة النص، كما ثبت النهي عن جعله عيدًا بدلالة النص، وهاتان الدلالتان معمول بهما عند علماء الأصوال». (٦/ ٣٣).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٤٦)، والحميدي (١٠٢٥)، وأبو النعيم في الحلية (٦/ ٢٨٨٣)، (٧/ ٣١٧)، من حديث: أبي هريرة.
ورواه الإمام مالك في الموطأ ح (٨٥) (١/ ١٧٢)، من حديث: عطا بن يسار مرسلاً. بلفظ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد..**».
ورواه عبد الرازق (١/ ٤٠٦)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥)، عن زيد بن أسلم مرسلاً أيضًا.
والحديث صححه البراز وابن عبد البر، كما في تنوير الحوالك (١/ ١٨٦)، وشرح الزرقاني (١/ ٣٥١)، والنهج السديد للفهيد، ص (١١٥).

(٢) رواه البخاري في الجنائز، ح (١٣٣٠) فتح (٣/ ٢٠٠)، ومسلم في المساجد، ح (٥٢٩، ٥٣٠) (١/ ٣٧٦). زاد في رواية عائشة قولها: «فلولا ذاك أُبرز قبره، غير أنه خشى أن يتخذ مسجدًا».

(٣) وذاك إنما كان بطلب الدعاء منه ﷺ، وقد فصل ذلك وبينه المصنف رحمه الله في كتابه: =

وَأَبيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ[(١)]

وكما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لما استسقى بالعباس رضي الله عنه: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا»[(٢)].

وقال العباس: «اللهم، إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكانتي من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث». فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس. كما أخرجه الزبير ابن بكار بإسناده، ونقله في الفتح[(٣)].

س٥: فما حكم التوسل بعد مماته ﷺ.

ج: اتفق العلماء من أرباب المذاهب: على أنه ليس واجبًا ولا ركنًا من أركان الدِّين، كما يظنه بعض الجهال، واختلفوا في استحبابه وعدمه، فقال بعض فقهائنا، في باب: الاستسقاء: «أنه يباح التوسل بالأنبياء والصالحين».

قال الأمام أحمد: «إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه».

وقال بعض فقهائنا بالمنع؛ سدًا للذريعة، فقد جَرَّ الجهل أناسًا إلى

= فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال.

(١) في البخاري في الاستسقاء، باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، ح(١٠٠٨) فتح (٢/ ٤٩٤).

(٢) رواه البخاري في الاستسقاء، ح(١٠١٠) الفتح (٢/ ٤٩٤).

(٣) (٢/ ٤٩٧).

الخروج عن حد التوسل، فألحقوا به ما ليس من بابه، وقد منعت الحنفية بعض ألفاظ شهيرة. والله أعلم[١].



(١) ينظر كتاب المصنف رحمه الله: «فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال». وينظر مذهب الحنابلة في ذلك: «المبدع لابن مفلح» (٢/ ٢٠٤) ودليل الطالب (٢/ ٥٦) وكشاف القناع (٢/ ٦٩ و٧٣).
وما ذكره عن الإمام أحمد فقد ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في منسكه الذي كتبه للمروزي صاحبه. وقرر أن مسألة التوسل بذات النبي ﷺ عند الإمام أحمد كمسألة الحلف به: ثم ذكر أنه في إحدى الروايتين عنه قد جوز القسم به فلذلك جوز التوسل به، ولكن الرواية الأخرى عنه هي قول جمهور العلماء أنه لا يقسم به: «فلا يقسم على الله به كسائر الملائكة والأنبياء، فإنا لا نعلم أحدًا من السلف والأئمة قال: إنه يقسم به على الله، كما لم يقولوا: إنه يقسم بهم مطلقًا...» مجموع الفتاوى (١/ ١٤٠، ١٤١). وينظر (١/ ٣٤٧) وتلخيص الاستغاثة (٢/ ٤٧٦) وينظر الفروع لابن مفلح (٢/ ١٢٧) والإنصاف للمرداوي (٢/ ٢٥٦) فنقلا توجيه ابن تيمية ووافقاه على المنع. ووجهه بعضهم بالتوسل المشروع. ينظر: منار السبيل (١/ ١٥٤).

المطلب الثالث

[في معجزاته ﷺ التي هي خصائصه]

وهي: تسعة، وفيه: (ثلاثة) أسئلة، وأحد عشر وجهًا من وجوه إعجاز القرآن.

س١: ما هي معجزاته ﷺ الخاصة به؟

ج: أذكر لكم عشرة أشياء:

الأولى: القرآن العظيم، وهو المعجزة الباقية إلى يوم القيامة، المشتملة على جملة معجزات. فوجوه إعجازه كثيرة، أفردها العلماء بالتأليف، وبحث فيها المفسرون، وأتوا بالعجب العجاب، وعجائبه لا تنقضي.

س٢: اذكر لنا شيئًا من وجوه إعجازه؟

ج: أذكر لكم أحد عشر وجهًا من وجوه إعجازه؛ لتقوية الإيمان:

١-البلاغة الخارقة لعادات العرب، حتى كان في الحد الأعلى ليس من جنس كلامهم، من الشعر والخطب والسجع(١).

٢- ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات مما سيقع، ومما كان في ضمائر القلوب، وعن أمور غيبية ظهرت كما أخبر، ولا يمر عصر إلا ويظهر فيه شيء أخبر أنه سيكون، إذ ما يدرك بالعقل يعلمه من جاء بعد الأول بترقي العلم.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (٥/ ٤٣٣).

٣- إخباره عن القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع المندثرة، مما لا يكاد يعلم، مع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[(١)].

٤- الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته؛ لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والإنذار.

٥- أن قارئه لا يمله ولو أعاده مرارًا، مع أن الطباع جبلت على معاداة المعادات، فيسحر القاري[(٢)] ببلاغته وحلاوته، ويأخذ بمجامع قلبه من طلاوته.

٦- جمعه لعلوم ومعارف لم تعرفها العرب، ولا أحد من علماء الكتاب وغيرهم؛ من طرق الحجج العقلية ومناهج الحق.

٧- تيسير حفظه لمتعلمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[(٣)]. ولم يعرف في الأمم السابقة حفظ غيره من الكتب مثل حفظه.

٨- كونه كافلاً بحاجات الدين والدنيا، من المصالح والأخلاق والعبادات والمعاملات.

---

(١) سورة العنكبوت، آية: (٤٨).

(٢) يعني: يأخذ بألباب قارئيه؛ لروعته وقوة تأثيره، أخذًا من قوله ﷺ: «**إن من البيان لسحرًا**». رواه البخاري في: الطب، (٩/ ٥٤٣٤) (٥/ ٢١٧٦)، ومسلم في: الجمعة، ح (٨٦٩) (٢/ ٥٩٤)

(٣) سورة القمر، آية: (١٧).

٩- التذكير بأحوال الأمم الماضية، التي حادت عن طريق الحق والتوحيد، واستسلمت لحكم العادات والتقاليد.

١٠- حفظه من التغيير والتحريف مع تغيُّر الأزمان، وتحزب الأحزاب والعدوان إلى هذا العصر، فصدق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1].

وعجز العرب جميعهم عن الإتيان بمثله، حتى بسورة واحدة. وقد تحدى مصاقع[2] الخطباء من قريش، وقرع أسماعهم حتى أزهق نفوسهم، فتآمروا على قتله، وقد صار عجز غيرهم ممن أتى بعدهم من باب أولى، وذلك أعظم برهان على إعجازه، وأنه كلام الخالق الذي أنزله تصديقًا لنبيه ﷺ، وقد أشرقت أنواره على العالم الإسلامي، وامتزجت كلماته بكلامهم، فارتقت فصاحة العرب عما كانت عليه في الجاهلية، وصار حفظ القرآن من أكبر وسائل الانشاء، وأعظم المواد العلمية.

ثانيًا: **المعراج**: وقد كان قبل الهجرة بسنة، أسري به ﷺ يقظة بالروح والجسد جميعًا إلى المسجد الأقصى، من بعد صلاة العشاء، وعرج به إلى الله من بيت المقدس إلى السموات العلى، إلى سدرة المنتهى، إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، فكان قاب قوسين أو أدنى، ففرض عليه الله خمسين صلاة، فلما رجع إلى موسى سأله عما فرض عليه وعلى أمته؟ فأخبره، فقال له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك.

---

(١) سورة الحجر، آية: (٩).

(٢) المصقع: أي: البليغ الماهر في خطبته. انظر: النهاية، لابن الأثير (٣/ ٤٢).

فرجع إليه فسأله التخفيف، ثم رجع إلى موسى فأعاده، وما زال يراجعه حتى انتهى أمره ـ تعالى ـ إلى الصلوات الخمس، وأصبح نبينا من ليلته تلك بمكة، فصلى الفجر، كما في الحديث الذي في الصحاح(١).

ثالثًا: انشقاق القمر بنص القرآن(٢) والسنة الصحيحة(٣) الصريحة، فقد بلغت الأحاديث به مبلغ التواتر، وأجمع عليه أهل الحق(٤)، وهو مثل: معجزة موسى ــ عليه السلام ــ بانفلاق البحر، غير أن تلك في العالم العلوي.

س٣: كيف يجوز انشقاق الفلك، كانشقاق السموات في المعراج وانشقاق القمر، فإذا قُبِلَ الانشقاق فمحلُّه من باب أولى، ومن المقرر: أن قدرته تعالى لا تتعلق بالمستحيل؟

ج: تتعلق قدرته تعالى بخرق العادة وإن استحالت عادة، فهي غير مستحيلة عقلاً، فانشقاق القمر فيه دلالة على جواز انشقاق الفلك، كما أخبرت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، خلافًا للفلاسفة في زعمهم:

---

(١) من ذلك: ما رواه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ح (٣٣٥) (٣/ ١١٧٢)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: الإسراء بالرسول ﷺ، ح (١٦٢) (١/ ١٤٥).

وانظر: لمزيد من التفصيل شرح الطحاوية (٢٤٥-٢٤٩).

(٢) في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

(٣) كما عند البخاري في مناقب الأنصار، باب: انشقاق القمر، ح (٣٨٦٨) (٧/ ١٨٢)، الفتح (٨/ ٦١٧)، ومسلم في المنافقين، باب: انشقاق القمر، ح (٢٨٠٠) (٤/ ٢١٥٨).

(٤) انظر: فتح الباري (٧/ ١٨٣).

أن الفلك لا يقبل الخرق والالتئام. كما قاله شيخ الإسلام[(١)]، على أن بعضهم قائل بقبوله، وقد أشرنا ـ فيما سبق ـ إلى أن العقل له حد محدود، وأن الشرع يأتي بما يحتار له العقل لا بما يحيله، وأن حكمته تعالى لا على مثال ما تقتضيه حكمة المخلوقين.

رابعًا: نبع الماء من بين أصابعه؛ بركة من الله حلت في الماء، بوضع أصابعه فيه، فجعل يفور ويخرج من بين أصابعه في غزوة تبوك[(٢)]، والحديبية، فشرب الجيش وقضى أوطاره. لا أنه يخرج من نفس اللحم والدم كما ظنه بعض الجهال، قاله في الهدى النبوي[(٣)].

وهذا نظير معجزة موسى ـ عليه السلام ـ في تفجير الماء من الحجر.

ومثله: تكثير الطعام بركة من الله، حتى كفي أناسًا كثيرين، كما وقع له ﷺ مرارًا.

خامسًا: حنين الجذع إليه عند ما ترك الخطبة عليه[(٤)].

ومثله: تكليم الحجر[(٥)] والشجر[(٦)]، كمعجزة سليمان في كلام الطير.

---

(١) الجواب الصحيح (٦/ ١٥٩، ١٨١)، ونقل عنه في: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٩٣، ٢٩٤). وانظر الجواب عليهم ـ أيضًا ـ ورد شبهاتهم، في: فتح الباري (٧/ ١٨٥).

(٢) ينظر: صحيح البخاري في كتاب: الأنبياء (٣٣٧٨) فتح (٦/ ٣٧٨).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٦٦٧).

(٤) كما عند البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الخطبة على المنبر، ح (٨٧٦) (١/ ٣٣١).

(٥) كما عند مسلم في كتاب: الفصائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ، ح (٢٢٧٧) (٤/ ١٧٨٢).

(٦) كما عند البخاري في المناقب، باب: علامات النبوة، ح (٣٣٩١) (٣/ ١٣١٤).

سادسًا: تأييده بملائكة السماء كما في وقعة بدر.

سابعًا: كفاية الله تعالى له أعداءه وعصمته من الناس، كما أخبره تعالى بذلك[(١)].

ثامنًا: إجابة دعائه ﷺ.

تاسعًا: إعلامه بالمغيبات الماضية والمستقبلة.

عاشرًا: دلالة خَلقه وخُلقه على صدقه، فنفس صورته الباهرة وهيئة طلعته الظاهرة، وحسن سمته، تدل على نبوته، وانفراد مزيته كما قال عبد الله بن سلام: (فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب)[(٢)]. وكما قال هرقل في حديث: أبي سفيان: «ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله»[(٣)]. وكما ضرب الله له ﷺ مثلاً في قوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[(٤)]. على ما قاله نفطويه[(٥)]؛ يقول: «يكاد منظره يدل

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]. وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧].

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٥١)، والترمذي ح (٢٤٨٧)، وابن ماجه ح(١٣٣٤، ٣٢٥١)، والدرامي (١/ ٣٤٠)، والحاكم (٣/ ١٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، (٢٦٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، ح (٢٧٨٢) (٣/ ١٠٧٤)، ومسلم في الجهاد والسير، ح(١٧٧٣)(٣/ ١٣٩٥).

(٤) سورة النور، آية: (٣٥).

(٥) ذكره عنه شيخ الإسلام في: الجواب الصحيح (٦/ ٥٠٩)، ونقله عنه السفاريني في: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٩٤).

على نبوته وإن لم يتل قرآنًا» كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

لَو لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ   كَانَتْ بَدِيهَتُهُ تَأْتِيكَ بِالخَبَرِ (١)



(١) المصدر نفسه، وذكره القاضي عياض في: الشفاء (١/ ٢٤٩). والروض الأنف (٢/ ٤٦).

المطلب الرابع
[في حقوقه عليه السلام]

وهي: سبعة، وفيه: أربعة عشر سؤالاً.

س١: قد عرفنا خصائصه فما حقوقه؟

ج: من تحقيق التوحيد، أن تعلم أن الحقوق ثلاثة، حق الله تعالى لا يشاركه فيه مخلوق، وحق لرسوله ﷺ، وحق مشترك بينهما.

س٢: فما حق الله وحده؟

ح: هو كالعبادة والتوكل والخوف والخشية، والتقوى والإنابة والرجاء، والتسبيح والتكبير والتهليل.

س٣: ما الحق المشترك بين الله ورسوله؟

ج: هو كالمحبة والإيمان والتصديق والطاعة.

س٤: فما حق الرسول الخاص به؟

ج: ذكر القاضي عياض وغيره نحو سبعة حقوق[1]، وهي هذه:

١ - وجوب طاعته؛ بالتزام سنته، والتسليم لما جاء به، والرضا لحكمه، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية[2].

---

(١) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفي، ص (٢٦٣، ٣١٥)، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ)، دار: الفكر بيروت.

(٢) سورة النساء، آية: (٦٥).

٢- لزوم محبته، كما في الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده**[١] **والناس أجمعين**» رواه النسائي وغيره[٢].

٣- وجوب مناصحته ﷺ، كما في حديث: «**الدين النصيحة**»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين...**»[٣].

والنصيحة: كلمة جامعة لجملة إرادة الخير للمنصوح له.

قال بعض السلف: «النصيحة له ﷺ مؤازرته ونصرته، وحمايته حيًا أو ميتًا، وإحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة»[٤].

٤- توقيره ﷺ ولكل ما يعزى إليه، والأدب معه حيًا وميتًا، ومن ذلك عدم رفع الصوت فوق صوته، وندائه باسمه، أو من وراء الحجرات، فينبغي خفض الصوت عند قبره الشريف[٥].

---

(١) ساقطة من الأصل

(٢) سنن النسائي في (٨/ ١٠٠) واللفظ له. وأصله في البخاري في الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، ح (١٥) الفتح (١/ ٥٨)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة الرسول ﷺ، ح (٤٤) (١/ ٦٧).

(٣) رواه مسلم في الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، ح (٥٥) (١/ ٧٤).

(٤) ينظر: جامع العلوم والحكم، ص (٧٥) ط، القديمة.

(٥) قال الحافظ ابن كثير: «قال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ، كما كان يكره في حياته ﷺ؛ لأنه محترم حيًا وفي قبره دائمًا». تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٠٨).
وفيه: قصة عمر لما هَمَّ بضرب الرجلين من الطائف، الذين رفعا صوتيهما عند القبر. كما في صحيح البخاري، كتاب: الصلاة، باب: رفع الصوت في المسجد، ح: (٤٧٠، ٤٧١).

٥- مودة أقربائه[١] ﷺ وبرهم؛ لمكانتهم وقرابتهم منه ﷺ، ولو كانت القرابة بعيدة؛ كقبيلة قريش، حتى جنس العرب، كما قال: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٢]. وكما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسند الصديق[٣].

س٥: ما هي علامة محبته ﷺ؟[٤].

ج: متابعته والرضا بما أمر به، وتقديمه على كل حال، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[٥].

س٦: هل نخص أهل البيت بزيادة المحبة؟

ج: من أصول أهل السنة والجماعة: محبة أهل البيت[٦]، فيتولونهم ويحفظون فهم وصية رسول الله ﷺ، حيث قال يوم غدير خُمٍّ: **«أذكركم الله في أهل بيتي»**[٧] مرتين. وقال ـ للعباس عمه حين اشتكى أن بعض قريش لا

---

(١) في الأصل والمخطوط: «مودته لأقربائه.

(٢) سورة الشورى، آية: (٢٣).

(٣) لعله يعني: حديث مطالبة فاطمة ـ رحمها الله ـ إرثها من أبيها، فقال أبو بكر رضي الله عنه، سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن النبي لا يورث»**، ولكني أعول من كان رسول الله ﷺ يعول، وأنفق على من كان رسول الله ﷺ ينفق عليه. رواه أحمد في المسند (١/ ١٠).

(٤) في الأصل وضع هذا السؤال وجوابه بعد الفقرة الثانية، من حقوق المصطفى عليه الصلاة والسلام، من السؤال الرابع.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٦) انظر: العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام، ص(٤٢، ٤٣).

(٧) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب: فضائل علي رضي الله عنه، ح (٢٤٠٨) (٤/ ١٨٧٣).

يلقونه بوجه طلق ـ: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي**»[(١)]. **ويدخل في ذلك أزواجه رضي الله عنهن**، فيرون تعظيم قدرهن والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن، والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين، وأزواجه في الدنيا والآخرة، خصوصًا خديجة فهي أول من آمن به من النساء، وأم أكثر أولاده، وعائشة الصديقة، ومن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله وكذَّب كتابه[(٢)]. فنتبرأ من طريق الروافض الذين يبغضون الصحابة، ومن طريقة الخوارج الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل[(٣)].

س٧: من هو المقدم في أهل البيت؟

ج: أهل الكساء؛ وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين جللهم عليه السلام بكساء، عند نزول الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾[(٤)]

---

(١) ورد هذا الحديث من عدة طرق عند الإمام أحمد، ح (١٧٧٢، ١٧٥٥١)، والترمذي ح (٣٧٥٨)، والحاكم في المستدرك (٦٩٦١)، والطبراني في الكبير ح (١٢٢٨)، وفي فضائل الصحابة ح (١٧٩١). وضعفها الألباني في ضعيف الجامع الصغير، ح (٦١٢٥) (٦/ ٤٦) وتخريج المشكاة.

وورد بسند صحيح عند ابن أبى شيبة، ح (٣٢٢١٣) (٦/ ٣٨٢) بلفظ: «**لن يصيبوا خيرًا حتى يحبوكم لله ولقرابتي**». وفي فضائل الصحابة، للإمام أحمد، ح (١٧٥٦) (٢/ ٣٨٢)، بلفظ: «**لن ينالوا خيرًا حتى...**» الحديث.

(٢) ينظر: لمعة الاعتقاد لابن قدامة، ص (٣٣). ونقل الإجماع على ذلك الحافظ ابن كثير وغيره.

(٣) ينظر: العقيدة الواسطية ص (٤٣)

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

الآية. وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي فطهرهم تطهيرًا**»[(١)]. ودعاهم ـ أيضًا ـ عند نزول آية المباهلة، وقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**»[(٢)].

٦- مودة أصحابه وبرهم، خصوصًا أهل وُدِّه وصداقته وعيبة سره؛ كالخلفاء الراشدين. وعلامة مودتهم: توقيرهم والاقتداء بهم، وذكر محاسنهم وترك الخوض فيما جرى بينهم؛ لحقوق صحبتهم وسبقهم وكثرة أياديهم، كما قال الله في أهل بدر: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[(٣)]. وكما قيل: «**من بر الولد بوالده بعد حياته البر بأهل وده**»[(٤)]. وكما قال تعالى في وصفهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الآية[(٥)].

فمن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم لأصحاب رسول الله ﷺ[(٦)]؛ للآية، ولقوله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده، لو أن**

---

(١) رواه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب أهل البيت، ح (٢٤٢٤) (٤/ ١٨٨٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، ح (٢٤٠٤) (١/ ١٨٧١).

(٣) رواه البخاري في الجهاد والسير، باب: الجاسوس، ح (٢٨٤٥) (٣/ ١٠٩٥)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: فضائل أهل بدر، ح (٢٤٩٤) (٤/ ١٩٤١).

(٤) ورد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**احفظ ود أبيك، لا تقطعه فيطفىء الله نورك**». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٤٧): «رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن».

(٥) سورة الحشر، آية: (١٠).

(٦) ينظر: العقيدة الواسطية ص (٤٠).

أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»(١).

س٨: ما تقول في التفضيل بينهم؟

ج: من توقيرهم: معرفة حقهم وتمييز مراتبهم، كما قال ﷺ: **«نزلوا الناس منازلهم»**(٢).

فالسابقون لهم الفضل كما شهد الله به، وأهل السنة يفضلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ على من أنفق بعده وقاتل(٣)، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويفاضلون بين الخلفاء الراشدين على حسب ترتيبهم في الخلافة، كما جرى على ذلك السلف، فيسعنا ما وسعهم، وإن لم تكن المسألة من اليقينيات التي تستحق الذكر في الاعتقاد، كما أشار إلى ذلك بعض الأصوليين.

س٩: ما معنى التفضيل والأفضلية بين الخلفاء الراشدين؟

ج: هي: بمعنى عظم النفع في الإسلام، فخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما،

---

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة، باب: قول النبي: **«لو كنت متخذًا خليلاً»**. ح (٣٤٧٠) (٣/ ١٣٤٣)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة، ح(٢٥٤٠) (٤/ ١٩٦٧).

(٢) رواه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: تنزيل الناس منازلهم، (٤٨٤٢) (٤/ ٢٦١)، وأبو يعلي في مسنده ح (٤٨٢٦) (٨/ ٢٤٤٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ح (١٣٤٤).

(٣) عملاً بصريح الآية: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

كانت على قدم الرسالة في جمع الكلمة وتألف الناس وتدبير الحرب، وخلافة عثمان وعلي رضي الله عنهما على قدم النبوة، فليست الأفضلية تفضيل شخص منهم على رفيقه من جميع الوجوه، حتى تعم النسب والشجاعة والعلم ونحو ذلك، ولا بمعنى زيادة الفضل والثواب عند الله، فإنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله[1].

٧- الصلاة والسلام عليه وعلى آله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[2] الآية.

وقد جاء في فضلها أحاديث كثيرة، وهي تستحب في مواضع؛ منها: ليلة الجمعة ويومها، وعند ذكر اسمه، وقال بوجوبها عنده جماعة؛ منهم: ابن بطة منا، وتبعه البلباني، ومنهم الحليمي من الشافعية، واللخمي من المالكية، والطحاوي من الحنفية.

وتجب في مواضع؛ فهي: عندنا ركن من أركان الصلاة في التشهد الأخير، وركن في الخطبة يوم الجمعة والعيدين[3].

---

(١) بل النصوص تدل على تفضيلهم في الفضل والإيمان؛ كحديث وزن الإيمان وغيره، فهذا من الغيب الذي علمه الله نبيه ﷺ.

(٢) سورة الأحزاب، آية: (٥٦).

(٣) ينظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لابن القيم، ص (٣٦٨، ٣٧٢) الطبعة الثانية، (١٤٠٧هـ)، دار: العروبة الكويت.

ونص على ركنيتها في التشهد من الحنابلة أيضًا البهوتي. ينظر: شرح منتهى الإرادات (١/ ٢٠٦).

وهذا دليل على افتراء القبوريين على الحنابلة، وزعمهم أنهم لا يحبون النبي ﷺ ولا يصلون عليه.

س١٠: ما معنى الصلاة؟

ج: الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن غيرهم التضرع والدعاء، هكذا ورده ابن القيم في كتاب: جلاء الأفهام، من خمسة عشر وجهًا، اختار أن صلاة الله عليه ثناؤه[١] عليه، وإرادة إكرامه برفع ذكره ومنزلته وتقريبه، وأن صلاتنا نحن عليه سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به[٢].

س١١: ما معنى السلام؟

ج: هو: التحية أو السلامة من النقائص أو الرذائل.

س١٢: من هم الآل في الصلاة المأثورة الإبراهيمية؟

ج: هم: أتباعه على دينه، نص عليه الإمام أحمد، وعليه أكثر الأصحاب. قال في الإقناع: «وآله أتباعه على دينه، والصواب عدم جواز إبداله بأهل»[٣]. اهـ.

أي: لأن أهل الرجل أقاربه أو زوجته، وصاحب جلاء الأفهام يميل إلى القول بأن المراد: (بالآل) أهله وأقاربه، كما يقتضيه سياق الآية، وتفسيره له ﷺ في بعض الأحاديث، وهذه هي المزية والخصوصية المفهومة من الآية والسنة[٤].

---

(١) وهو ما جاء عن أبي العالية، كما في صحيح البخاري تعليقًا، في سورة الأحزاب (٨/ ٣٩٢).

(٢) جلاء الأفهام ص (١٥٨).

(٣) كشاف القناع (١/ ٣٥٨).

(٤) جلاء الأفهام ص (٢٢٥).

س١٣: من هم آل إبراهيم في الصلاة المأثورة؟

ج: هم: هنا الأنبياء، والمطلوب من الله سبحانه أن يصلي على رسوله ﷺ كما صلَّى على جميع الأنبياء من ذرية إبراهيم، لا إبراهيم وحده، كما هو مصرح به في بعض الألفاظ، من قوله: على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، كما قاله ابن القيم(١).

س١٤: ما هي فوائد الصلاة والسلام عليه؟

ج: هي كثيرة، أنهاها ابن القيم إلى أربعين فائدة(٢).

وهذا بيان جميعها:

١- امتثال أمر الله سبحانه وتعالى.

٢- موافقته سبحانه في الصلاة عليه، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله عليه ثناء وتشريف.

٣- موافقة ملائكته فيها.

٤- حصول عشر صلوات من الله على المصلِّي مرة.

٥- أنه ترفع له عشر درجات.

٦- أنه يكتب له عشر حسنات.

٧- أنه يمحى عنه عشر سيئات.

---

(١) المصدر نفسه ص (٢٨٩). وقال: «وأحسن منه أن يقال: محمد هو من آل إبراهيم، بل هو خير آل إبراهيم...». وهو أفضل من أبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

(٢) جلاء الأفهام (٤٤٥، ٤٥٥). وفيّ بعض ما ذكره نظر؛ لعدم ثبوت الخبر بذلك، والعبادات مبناها على التوقيف. والله أعلم.

٨- أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها، فهي تصعد الدعاء إلى عند رب العالمين، وكان موقوفًا بين السماء والأرض.

٩- إنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له، أو أفرادها، كما في حديث: رويفع(١).

١٠- إنها سبب لغفران الذنوب.

١١- إنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

١٢- إنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة، كما في حديث: ابن مسعود.

١٣- إنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة.

١٤- إنها سبب لقضاء الحوائج.

١٥- إنها سبب لصلاة الله على المصلي، وصلاة ملائكته عليه.

١٦- إنها زكاة للمصلي وطهارة له.

١٧- إنها سبب تبشير العبد بالجنة قبل موته، كما في حديث ذكره الحافظ أبو موسى.

١٨- إنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة، كما في حديث ذكره ذلك الحافظ أيضًا.

---

(١) ولفظه: «من صلى على محمد وقال: اللهم، أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة؛ وجبت له شفاعتي». أخرجه أحمد (٤/ ١٠٨)، وإسماعيل القاضي في: فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم: (٥٣)، وابن أبي عاصم (٥٩-٧٨)، والبزار (٤/ ٤٥-٣١٥٧)، والطبراني في: المعجم الكبير(٥/ ١٣-١٤/ ٤٤٨٠،٤٤٨١). وضعفه الألباني في الضعيفة برقم: (٥١٤٢)، (١١/ ٢٣٩).

١٩- إنها سبب لرد النبي ﷺ على المصلي، والمسلِّم عليه.

٢٠- إنها سبب لتذكر العبد ما نسيه.

٢١- إنها سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

٢٢- إنها سبب لنفي الفقر.

٢٣- إنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ.

٢٤- نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا ذكرها عند ذكره ﷺ.

٢٥- إنها ترمي صاحبها على طريق الجنة، وتخطي بتاركها عن طريقها.

٢٦- إنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه اسم الله ورسوله، ويحمد ويثنى عليه فيه، ويصلى على رسوله ﷺ.

٢٧- إنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدأ بحمد الله والصلاة عليه.

٢٨- إنها سبب لوفور نور العبد على الصراط، كما في حديث ذكره أبو موسى وغيره.

٢٩- إنه يخرج بها العبد عن الجفاء.

٣٠- إنها سبب لبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه، بين أهل السماء والأرض؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

٣١- إنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره، وأسباب مصالحه لما تقدم.

٣٢- إنها سبب لنيل رحمة الله له؛ لأنها من معناها أو من لوازمها.

٣٣- إنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ، وزيادتها وتضاعفها.

٣٤- إنها سبب لمحبة النبي للمصلي عليه.

٣٥- إنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه؛ لما في ترقى العناية به إلى المتابعة.

٣٦- إنها سبب لعرض اسم المصلي عليه ﷺ، وذكره عنده.

٣٧- إنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه.

٣٨- إن الصلاة عليه ﷺ أداء لأقل القليل من حقه، وشكر له على نعمته التي أنعم الله بها علينا.

٣٩- إنها متضمنة لذكر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبيده.

٤٠- إن الصلاة عليه ﷺ من العبد هي دعاء، وسؤال أن يثني على خليله وحبيبه ويزيد في تشريفه، وفيه إيثار لما يحبه الله على محبة العبد، ومطلوبه مما يتعلق بدنياه. كما أوضحه ابن القيم.

س١٥: ما هي المواضع التي يطلب فيها الصلاة عليه ﷺ؟

ج: هي أربعون موضعًا؛ منها: ما يتأكد طلبها إما وجوبًا وإما استحبابًا مؤكدًا، على ما ذكره الحافظ ابن القيم في كتابه[١]، وهذا بيانها:

١- في آخر التشهد الأخير.

٢- في التشهد الأول عند الشافعية.

٣- في آخر القنوت.

٤- في صلاة الجنازة.

---

(١) جلاء الأفهام، ص (٣٢٧، ٤٤٤). وأكثر ما ذكره المصنف هنا لا دليل عليه، أو فيها آثار لا تقوم بها حجة تشريعية.

٥- في الخطب؛ كخطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء، وغيرها.

٦- بعد إجابة المؤذن.

٧- عند الدعاء قبله وبعده ووسطه.

٨- عند دخول المسجد والخروج منه.

٩- على الصفا والمروة.

١٠- عند اجتماع القوم قبل تفرقهم.

١١- عند ذكره ﷺ.

١٢- عند الفراغ من التلبية[١].

١٣- عند استلام الحجر[٢].

١٤- [إذا خرج إلى السوق أو إلى دعوة أو نحوها][٣].

١٥- إذا قام الرجل من نوم الليل[٤].

١٦- عقيب ختم القرآن.

١٧- يوم الجمعة.

١٨- عند القيام من المجلس.

---

(١) قال السخاوي في: القول البديع، ص(٢٠٧): «رواه الدارقطني والشافعي وإسماعيل والقاضي، وإسناده ضعيف».

(٢) قال السخاوي في: القول البديع، ص (٢٠٨): «أخرجه الطبراني وأبو ذر الهروي، وفي إسناده: محمد ابن مهاجر لين الحديث».

(٣) ساقطة من الأصل، وهي من المنقول منه.

(٤) أخرجه النسائي في: عمل اليوم والليلة رقم (٨٦٧)، وإسناده منقطع.

١٩ - عند المرور على المساجد ورؤيتها[١].

٢٠ - عند الهمِّ والشدائد، وطلب المغفرة.

٢١ - عند كتابة اسمه[٢].

٢٢ - عند تبليغ العلم إلى الناس، عند التذكير والقصص وإلقاء الدرس.

٢٣ - أول النهار وآخره.

٢٤ - عقب الذنب[٣].

٢٥ - عند المام الفقر والحاجة، أو خوف وقوعه.

٢٦ - عند خطبة الرجل المرأة في النكاح[٤].

٢٧ - عند العطاس[٥].

---

(١) انظر: فضل الصلاة على النبي ﷺ، لإسماعيل القاضي، ص (٨٠)، وإسناده ضعيف.

(٢) أي: اسم النبي ﷺ.

(٣) قال السخاوي في: القول البديع، ص (١٢٧): «رواه أحمد وابن أبى شيبة وأبو الشيخ وابن أبى عاصم، وفي سنده ضعف».

(٤) قال السخاوي في: القول البديع، ص (٢١٥): «أخرجه إسماعيل القاضي بسند ضعيف».

(٥) وهذا الدليل على خلافه؛ عطس رجل إلى جنب ابن عمر فقال: الحمد لله، والسلام على رسول الله. فقال له عبد الله بن عمر: «وأنا أقول: الحمد لله، والسلام على رسول الله، وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ؛ علمنا أن نقول: «**الحمد لله على كل حال**». أخرجه الترمذي في الأدب (٥/ ٨١) ح: ٢٧٣٨، والحاكم في الأدب (٤/ ٢٦٥- ٢٦٦) وإسناده جيد.

وهكذا أكثر ما ذكره المصنف رحمه الله هنا لم يثبت عن النبي ﷺ، فلا يصار إليه

والخير كل الخير في اتباع مَن سلف والشر كل الشر في ابتداع مَن خلف

ومحبتنا للنبي ﷺ تقتضي اتباعه، لا أن نقول في دين الله بآرائنا ما لم يرد عنه ﷺ، =

٢٨- بعد الفراغ من الوضوء.

٢٩- عند دخول المنزل[١].

٣٠- في كل موطن يجتمع فيه لذكر الله.

٣١- إذا نسي الشيء وأراد ذكره[٢].

٣٢- عند الحاجة تعرض للعبد.

٣٣- عند طنين الأذن[٣].

٣٤- عقب الصلوات[٤].

٣٥- عند الذبيحة[٥].

٣٦- في الصلاة في غير التشهد، بل في حال القراءة إذا مر بذكره، أو قوله: إن الله وملائكته.

٣٧- بدل الصدقة لمن لم يكن له مال.

٣٨- عند النوم[٦].

= والمقصد الحسن لا يجيز التقول عليه والابتداع في الدين بما لم يأذن به الله تعالى.

(١) قال السخاوي في: القول البديع، ص (١٣٠): «رواه أبو موسى المديني بسند ضعيف».

(٢) قال السخاوي في: القول البديع، ص (٢٢٧): «أخرجه أبو موسى بسند ضعيف».

(٣) قال السخاوي في: القول البديع، ص (٣٢٣): «رواه الطبراني وسنده ضعيف».

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: استحباب القول مثل قول المؤذن، برقم: (٣٨٤)، من حديث: عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٥) رواه ابن ماجه (٩٠٨) والطبراني وغيرهما، وفي إسناده: جبارة بن المغلس، وهو ضعيف، وعُدَّ من مناكيره هذا الحديث.

(٦) قال السخاوي في: القول البديع، ص (٢١٦): «رواه أبو الشيخ... وهو غريب جدًا، =

٣٩- عند كل كلام خَيْرٍ ذي بال[1].

٤٠- في أثناء صلاة العيد، كما ذكر جميع ذلك الحافظ ابن القيم. جمعناه باختصار ليسهل تناوله. والله أعلم.



= ورواته فيهم بعض المقال».

(١) قال السخاوي في: القول البديع، ص (٢٤٦): «أخرجه الديلمي، وسنده ضعيف».

خاتمة الكتاب

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد تم ما أردته من القسم الأول في هذه الورقات، من كتابة: «ما لابد منه في أمور الدِّين»، على طريقة السلف ومذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

راجيًا من الله أن يكون خالصًا لوجهه الكريم، وسببًا للفوز بجنات النعيم، ملتمسًا تأييد أهل الحق والحقائق لما فيه بالتعليم، فقد قال بعضهم: «ينبغي لكل مؤمن أن يصرح بعقيدته على رؤوس الأشهاد، فإن كانت صحيحة شهدوا له بها عند الله تعالى، وإن كانت غير ذلك بينوا له فسادها؛ ليتوب منها». انتهى.

والحق برهان على نفسه، لا يخفى على بصير، ولا يعدم له نصير، والاخلاص ينفذ القول إلى أعماق القلوب، ويمتلك الوجدان بقوة البرهان وحسن البيان، ويتردد صداه في أنحاء النفوس، فيستحيل رجوعها عنه، وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، كما قيل: «الرجوع عن الحق بعد العلم به محال».

وكان الفراغ من كتابة ذلك: يوم السبت المبارك، الموافق: لست وعشرين من شهر رجب الأصم، من عام: ألف وثلاثمائة واثنين وثلاثين، من هجرة سيد المرسلين ﷺ.





خاتمة الطبع للمؤلف

الحمد لله أولاً وأخيرًا، والصلاة والسلام على نبيه وآله.

أما بعد: فقد تمَّ طبع القسم الأول من كتاب: «ما لا بد منه في أمور الدِّين»، في غاية التصحيح والتحسين، بالمقابلة على الأصل الذي بخطي، وإعادة نظري عليه حين وصولي إلى مصر المحروسة، لتمضية شهري الصيف: (الأسد والسنبلة)، مدة التعطيل للدروس عندنا في الحرم المكي.

وسنطبع القسم الثاني مثله مع تعليقات نفيسة على أشياء، وعلى ما يتعلق بالكبائر وشعب الإيمان، إن شاء الله تعالى.

وحرّر هذا عند انتهاء الطبع، في (٢٠) من شهر شوال، من عامنا هذا: ألف وثلاثمائة واثنين وثلاثين، من هجرة سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات

